الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمّة لخضـــــر
الـــــــــوادي

كلية الآداب واللغات .
قســـــم اللغة العربيّة .
تخصص : علوم اللسان .

دور حروف المعاني في البناء الفنّي في القصص القرآني

– دراسة تطبيقيّة في سورة يوسف عليه السلام –

مذكرة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة العربية

إعداد الطالبة :
كوثر فـــالح

إشراف الأستاذ :
د/ أحمد الشايب عرباوي

السنة الجـــامعية : 1435 - 1436 هـــ / 2014 – 2015 م .

بسم الله

الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

انطلاقا من قول المولى عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [سورة إبراهيم الآية 7] ، وتأدبا بأدب الشكر فإني أشكر وأُثني على المنعم الوهّاب صاحب المنّة والنعم والعطايا أن منَّ عليّ بإتمام هذا البحث ، فله الحمد والشكر .

واعترافا لأهل الفضل بفضلهم ، وأهل الإحسان بجودهم وأصحاب الضمائر الحيّة الذين يسهرون على أداء واجبهم على أحسن وجه ، فإني أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى من لم يدّخر جهدا ولا وقتا إلاّ بذله لدعم هذا البحث أستاذي ومشرفي الدكتور : عرباوي أحمد الشايب ، فقد استفدت بتوجيهاته الثمينة ومتابعته الحثيثة فجزاه الله خير الجزاء ، ونفع به وبعلمه الباحثين .

ولا يفوتني أن أشكر أستاذي الدكتور : وهابي نصر الدين ، الذي لم يدّخر وسعا في إبداء توجيهاته القيمة وملاحظاته السديدة .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأفراد عائلتي ، وأخصّ بالذكر أختي صبرينة حفظها الله ورعاها لما قدمته من جهد وصبر لإتمام هذه الرسالة ، وإلى كل من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد ، بكتاب أو دعاء أو اهتمام .

ثبت المختصرات

* ص : صفحة .

* ط : طبعة .

* ج : جزء .

* مج : مجلد .

* تر : ترجمة .

* تح : تحقيق .

* (د ص) : دون صفحة .

* (د ط) : دون طبعة .

* (د ت) : دون تاريخ .

*(د ب ن) : دون بلد نشر .

مقدمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أن أنزل القرآن على عبده ولم يجعل له عوجا وجعله هدى للناس ورحمة للمؤمنين ، والصلاة والسلام على خير البرية ومنار الهدى وقدوة الأنام وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه إلى يوم الدين وبعد :

فإن البحث في القرآن الكريم والتدبر في معانيه عمل لا تنضب مادته ولا يقل زاده وجهد لا تضيع مساعيه ولا يخيب رجاء من خاض فيه ، فموضوعاته جامعة وهادفة وشاملة لجميع نواحي الحياة ، تستهدف سعادة الإنسان ورشده في الدنيا والآخرة .

ومن هذه الموضوعات الشاملة قصص القرآن التي فيها إرشاد للبشرية فهي من الأساليب التي استثمرها القرآن الكريم في الإقناع والتأثير لنشر الدعوة والقيم الصحيحة في المجتمعات ولإقامة الحجة والبرهان على المعاندين وتصحيح الجوانب العقيدية والخلقية لدى المتبعين ، وتهذيب المجتمعات الإسلامية وإصلاحها ، وبما أنها أسلوب محبب إلى الناس كبارا وصغارا استثمرت لتكون وسيلة من وسائل الدعوة والتربية .

وهناك جملة من العوامل والأسباب دفعتني لاختيار هذا الموضوع وهي :

- أهمية الحرف كقسم من أقسام الكلمة العربية ، فهي جزء أساس وجوهري من مكونات الجملة العربية في إفادته لمعان لا تستغني عنها كما لا يستغني البناء عن الأعمدة كونها توصل معاني الأفعال إلى الأسماء وتربط بينها ، فتجعل الجملة متسلسلة ومفهومة ، فهي الأكثر دورانا في تركيب الكلام وأداء فوائده ومعانيه ، ونظرا لكثرتها سأقتصر على أكثرها ورودا في قصة سيدنا يوسف – عليه السلام – .

- بالإضافة إلى أنّ اختياري لسورة يوسف – عليه السلام – كقصة قرآنية للدراسة التطبيقية لهذا الموضوع لأنها القصة المستوفية لكل تقنيات القصة القرآنية خاصة والفنية بصفة عامة .

– ورغبتي في السبق لتناول حروف المعاني من زاوية التوظيف الفني القصصي القرآني لمعانيها من خلال تقنياته المختلفة ، وذلك أن هذا الموضوع – في حدود ما انتهى إليه إطلاع البسيط – لم تفرد له دراسات خاصة .

– وهي أحسن القصص بموضوعاتها المتميزة وبطريقة عرضها الفنية التي جاءت حافلة بالإثارة والتشويق ، بفنيتها المبدعة والمعجزة ومن هذا المنطلق لا بدّ أن نتدبر ونتأمل هذا الإعجاز المترامي الأطراف من خلال التطرق إلى القصص القرآني من زاوية حروف المعاني ، وهي أدوات وكلمات لها معانٍ وضعت لها ، تقترن بالأسماء والأفعال في إفادة معاني لا يمكن التوصل إليها من دونها ، وبناءا عليه عنونت مشروعي هذا باسم "دور حروف المعاني في البناء الفني في القصص القرآني" – دراسة تطبيقية في سورة يوسف عليه السلام –

والمراد من هذه الدراسة الوقوف على أهمية تلك الحروف والمعاني وبيان دورها في تحقيق الجماليات والقيم الأسلوبية المرتبطة بإجراءات القص التقنية .

فهل حسم الخلاف إلى غاية هذه اللحظة من البحث الأكاديمي في مسألة فنية القصة القرآنية ؟ وإلى أي مدى يمكن الانخراط في إثبات فنية القصة القرآنية في البحث الأكاديمي ؟. وهل يمكن أن ننطلق من كل مقومات البناء اللغوي للقصة لإثبات فنيتها ؟ وهل يمكن أن تضطلع دراسة ويتكفل البحث في حروف المعاني –تمثيلا لا حصرا– بإبراز تلك الفنية ؟ .

ولمحاولة الإجابة عن هذه الإشكالية ومناقشتها اتبعت خطة تقوم على مقدمة و تمهيد وثلاثة فصول واختتمتها بخاتمة ، تحدّثت في التمهيد عن القصص القرآني في دراسات العرب السابقين ، ثمّ الفصل الأول الذي وسمته بـ: مقومات البناء الفني للقصة القرآنية وقد اشتمل على ثلاثة مباحث :

1/فنيّة القصة القرآنية .

2/ أسس البناء الفنّي للقصة القرآنية .

3/ لغة القصة القرآنية وإمكاناتها الجمالية .

والفصل الثاني الذي حمل اسم :حروف المعاني وتقنيات القص الفني دمجت فيه بين حروف المعاني ودورها في القصص القرآني بصفة عامة وضمّ مبحثين :

1/ القيمة الوظيفية للحروف في العمل الفني القصصي .

2/ القيمة الجمالية للحروف في العمل الفني القصصي .

وأما الفصل الثالث فعنونته القيمة الوظيفية الفنية لحروف المعاني من خلال تقنيات القص القرآني ؛ وتطرقت من خلاله إلى إثبات فنيّة القصة القرآنية انطلاقا من بنائها اللغوي الماثل في حروف المعاني ودورها الوظيفي والدلالي ثم كانت الخاتمة التي ضمت أهم نتائج هذا العمل .

وقد اتبعت في معالجة هذا الموضوع المنهج الوصفي ، والمنهج التحليلي فالأول لعرض تقنيات القصة القرآنية ووصف طبيعتها ، ولتحديد حدّ حروف المعاني وأقسامها ووظيفتها ، أما الثاني فقد استخدمته في الجانب التطبيقي من الموضوع لبيان أهمية التوظيف القصصي لمعاني الحروف في القصص القرآني عامة وفي قصة سيدنا يوسف عليه السلام خاصة .

ولغرض انجاز هذا المشروع استقيت مادّته من مجموعة مصادر ومراجع أهمها :

- تفسير القرآن العظيم لابن كثير .
- الأدوات النحوية في كتب التفاسير لمحمود أحمد الصغير .
- الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية لمحمود السيد حسن مصطفى .
- الإعجاز القصصي في القرآن لسعيد علي عطية مطاوع .
- إعراب القرآن الكريم لأحمد عبيد الدعاس .

- و الجني الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي .

ومن أهم الدراسات التي تقترب من موضوع هذه المذكرة رسالة دكتوراه بعنوان :

- زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم لهيفاء عثمان عباس.
- أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير لعلي الجهني .
- أسس بناء القصة في القرآن الكريم لمحمد عبد الله عبده دبور .
- بلاغة مقام القص القرآني –سورة يوسف أنموذجا لعزوز سطوف .

وقد كان من أبرز الصعوبات والعوائق التي اعترضتني في مسيرة إعداد وإنجاز هذا البحث كثرة حروف المعاني في البناء اللغوي للقصة القرآنية بصفة عامة ، وفي قصة سيدنا يوسف – عليه السلام – خاصة وقد تجاوزتها بعون الله عندما ركزت على أهمها في إبراز فنيّة القصة القرآنية بما يناسب أُسسها .

ولا يفوتني أن أشكر الأستاذ الدكتور المشرف "أحمد الشايب عرباوي" على المجهودات والتوجيهات التي قدمها ليتحلى هذا العمل بأحسن حلّة .

= والله ولي التوفيق =

القصص القرآني في دراسات العرب السابقين

في هذا التمهيد بيان لجهود العلماء الذين درسوا القصص القرآني في الأزمنة الغابرة من مفسرين ومؤرخين وبلاغيين وعلماء الإعجاز القرآني أو في العصر الحديث من علماء كتبوا عن القرآن وقصصه في هذا العصر .

أولا : المفسرون

فقد انقسم المفسرون كل حسب منهجه ورؤيته في الدراسة عندما تناولوا موضوع القصص القرآني إلى ثلاثة اتجاهات

الاتجاه الأول : وكل أصحابه من المفسرين القدماء من أشهرهم "محمد بن جرير الطبري" في(جامع البيان في تفسير القرآن) ، و"أحمد بن الثعلبي" في كتابه (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) وقد دعا هؤلاء باستقصاء ظروف القصة ، وتتبع جزئياتها ، وما يتصل بها من مواقف وأحداث مع الحرص الشديد على تحديد زمانها ومكانها وتعيين أسماء أشخاصها ، وكثير من أصحاب هذا الاتجاه انساقوا إلى الاستقصاء والإحاطة رغبة في إشباع فهم المتطلعين إلى هذا القصص الديني وخاصة ما يتعلق منه بتاريخ بدء الخلق والأمم الغابرة ، ولم يتحر هؤلاء في ما رووا من أخبار امتزجت في كثير من الأحيان بالخرافات والأساطير والإسرائيليات[1].

الاتجاه الثاني : وجميع أصحابه كذلك من المفسرين القدماء ومن أشهرهم : "إسماعيل بن كثير" في تفسيره : (تفسير القرآن العظيم) ، و"فخر الدين الرازي" في تفسيره : (مفاتيح الغيب) ، و"الزمخشري" في تفسيره (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ويتبع هؤلاء طريقة التحليل مع الالتزام بحدود النص القرآني ويعنون بتوضيح ما

1) ينظر : التهامي نقرة ، سيكولوجية القصة في القرآن ، الشركة التونسية ، (د ط) ، 1979م ، ص 29 .

تحتوي القصة القرآنية من إشارات وعِبَر والإجابة على ما أُثير فيها من شبهات ، وتجلية عوامل التأثير في أسلوبها البياني أو حججها العقلية .

والتزام هؤلاء بالنص نابع من إتباعهم طريقة تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة والأثر الصحيح ، وإذا أورد أحدهم بعض الإسرائيليات فإنما للتنبيه إليه والرد عليه بما يُثبت بطلانه [1] كما كان من "ابن كثير" في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة البقرة ، الآية 67] إلى آخر آيات القصة إذ أورد قصة طويلة مبسوطة عن البقرة وكيف وجدوها وثمنها الذي بلغ ملء جلدها ذهبا ، ثم يقول : « وهذه السياقات عن "عبيدة" و"أبي العالية" ، و"السدي" وغيرهم فيها اختلاف ، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل وهي مما يجوز نقلها ، ولكن لا تصدق ولا تكذب فلهذا لا يعقد عليه إلا ما وافق الحق عندنا والله أعلم » [2] .

الاتجاه الثالث : ومعظم أصحابه من المفسرين المحدثين أمثال الإمام "محمد عبده" ، والشيخ "رشيد رضا" في تفسيرهما (تفسير المنار) ، والأستاذ "سيد قطب" في تفسيره (في ظلال القرآن) تأثروا بـ"الزمخشري" الذي تفرّد بتوفيقه في إدراك بعض مواضع الجمال الفني في القرآن واهتم هؤلاء بمعالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني ثم بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شائق أخاذ يستهوي القارئ ويحبب إليه النظر في كتاب الله تعالى [3] .

وقد تفرد الأستاذ "سيد قطب" من بين أصحاب هذا الاتجاه إذ عرض القصص القرآني عرضا أدبيا ، يهتم بإبراز الصور والقيم الجمالية مع الاهتمام بربط القصة بموضوع السورة ربطا

1) ينظر : محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ج 01 ، المطبعة الفنية ، ط 04 ، 1989 م ، ص 30 .
2) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 01 ، دار الفكر العربي ، (د ط) ، (د ت) ، ص 108 .
3) ينظر : محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ص 38 .

معجبا على نحو ما فعل في سورة آل عمران في قصة ولادة مريم وقصة موسى – عليهما السلام- [1] .

ثانيا : المؤرخون

لم يختلف المؤرخون كثيرا في تطرقهم لقصص القرآني عن المفسرين وعليه يمكن تصنيفهم إلى مدرستين :

الأولى : يتبع أصحابها كـ : "محمد بن جرير الطبري" في كتابه تاريخ الرسل والملوك و "شهاب الدين أحمد" في كتابه نهاية الأرب في فنون العرب ، طريقة البحث والتحليل التي سبق الكلام عنها عند المفسرين وهؤلاء اهتموا اهتماما بالغا بالأسماء ، والأماكن والأزمنة في القصص القرآني ونقلوا الكثير من الإسرائيليات والروايات المضطربة .

الثانية : وتسير في اتجاه عام تلتزم فيه طريقة التحليل مع الالتزام بالنص القرآني وعدم الخوض في الإسرائيليات مثل "ابن كثير " في كتابه البداية والنهاية ، و"الكسائي" في كتابه قصص الأنبياء .

ومن خير ما يمثل منهج هؤلاء المتقدمين في دراستهم للقصص القرآني "ابن كثير " في دراسته لقصة يعقوب عليه السلام- إذ اكتفى بما ذكر عنه في قصة أبيه إسحاق وولده يوسف – عليهما السلام- ثم ذكر بعض الأخبار اليسيرة التي تواترت في كتب العهد القديم ولم تتعرض لها المصادر الإسلامية [2] .

ولما كان العصر الحديث نشطت أقلام المؤرخين منهم "عبد الوهاب النجار" قصص الأنبياء ، "محمد علي الصابوني" النبوة والأنبياء في القرآن ، "محمود الشرقاوي" الأنبياء في القرآن وغيرهم في العديد من الكتابات حول القصص القرآني في تناول موضوعي اهتم بسرد الأحداث

1) ينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج 01 ، دار الشروق بيروت ، (د ط) ، (د ت) ، ص 348 .

2) ينظر : ابن كثير ، قصص الأنبياء ، دار نهر النيل ، ط 01 ، (د ت) ، ص 223 .

القصصية والتعليق عليها مع تحديد الزمان والمكان دون إسراف كسابقيهم ومع بساطة في التعبير والعرض ، وسهولة في لغة الحكاية القصصية ، وعدم الخوض في الأمور الغيبية التي حرص عليها السابقون كبدء الخلق والبعد عن الإسرائيليات التي كثرت في كتب المتقدمين [1] .

ثالثا : البلاغيون وعلماء الإعجاز

يمكن القول إن البلاغيين القدامى —في معظم دراساتهم — شغلوا أنفسهم بمباحث بعيدة عن روح القرآن الكريم ، وعن جماله الأسلوبي حسب رأي الأستاذ "سيد قطب" ، فاختلفوا حول اللفظ والمعنى ، أيهما تمكنت فيه البلاغة وكان من المنتظر أن يصلوا إلى ما لم يصل إليه المفسرون ، خصوصا أنهم عملوا في صميم العمل الفني للقرآن ، وغلب على بعضهم روح القواعد ، ومنهم من انصرف إلى التقسيم والتبويب [2] .

وقد اشتهر من علماء الإعجاز قديما من كان ذا اتجاه لا يعدو الآيات المفردة مثل "الجاحظ" في رسالة حجج النبوة و"سليمان محمد الخطابي" في رسالة بيان إعجاز القرآن والإمام "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه دلائل الإعجاز ، ومن ذلك حديثهم عن تكرار بعض آيات القصة القرآنية بأساليب مختلفة لتشكل منهجا عامًّا يضمّ قصة أو مجموعة من القصص القرآني كما اشتهر من كتاب الإعجاز حديثا منهم مصطفى صادق الرافعي" في كتابه إعجاز القرآن ، الشيخ "محمد متولي الشعراوي" مهجة القرآن ، رأوا من زاوية مختلفة تنظر إلى مواطن الإعجاز في القصص القرآني نظرة متسعة وقد أفاض الله سبحانه على بعض هؤلاء كالشيخ "الشعراوي" الذي منّ الله عليه بأسلوب في التفسير يستهوي العامة والمتعلمين على حدّ سواء باستطراد ومنهج ينتقل من معنى إلى معنى دون أن يكون هناك رابط بين المعاني في الفصول المتعددة [3] .

---

1) ينظر : محمد عبد الله عبده دبور ، أسس بناء القصة في القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه في الأدب والنقد ، إشراف : فتحي محمد أبو عيسى ، جامعة الأزهر ، 1996 م .

2) ينظر : سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 16 ، 2002 م ، ص 29 .

3) ينظر : محمد عبده دبور ، أسس بناء القصة في القرآن الكريم ، ص 20 .

وقد وُجد اتجاه في هذا العصر متفرد تمام التفرد ومن أبرز أصحابه : "محمد أحمد خلف الله" في كتابه الفن القصصي في القرآن الكريم ، "عبد الكريم الخطيب" في كتابه القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، "التهامي نقرة" في كتابه سيكولوجية القصة في القرآن الكريم ... وغيرهم اتجهوا إلى دراسة القصص القرآني من الناحية الفنية ، فعنوا بالبحث عن الجمال الفني في هذا القصص ومنهم من أصاب بعض مواضع هذا الجمال ، فأصبحت دراستهم نماذج يحتذ بها ومنهم من أخطأ الطريق فقال في القرآن ما لم يقله مسلم من قبل [1].

فمن المصيبين الأستاذ "سيد قطب" الذي عرض في كتابه بعض المباحث الفنية على النحو التالي :«القصة القرآنية تساق لأغراض دينية بحتة ، وتترتب على الخضوع للغرض الديني واختلاف في عرض القصة من ناحية الأحداث ، وتكرارها بطريقة معينة في أكثر من سورة قرآنية ، وترتب على اجتماع الدين والفن في القصة آثار وخصائص فنية بارزة تشتمل طريقة عرض الأحداث والتصوير ، ورسم الشخصيات» [2] .

ومن الذين حادوا عن جادة الصواب الدكتور "خلف الله" الذي اعتمد على المنهج الفني البياني في دراسة القصص القرآني القائم على أساس أنّ الفنّ الأدبي هو الأساس الوحيد في الدراسة ومن ثمّ أهمل الباحث الجوانب التاريخية والدينية إهمالا تاما على عكس ما فعل المؤرخون والمفسرون قديما ، وتمخض هذا المنهج عن مجموعة من الآراء أنكر فيها كثيرا من الحقائق التاريخية الواردة في القصص القرآني كما ادعى الباحث وجود القصة الأسطورية في القرآن الكريم ... وغيرها من الآراء التي فندها العلماء في مؤلفاتهم من أشهرهم "عبد الكريم الخطيب" في كتابه القصص القرآني في منطوقه ومفهومه [3] .

1) ينظر ، المرجع السبق ، ص 21 .

2) سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص 144 – 145 – 146 .

3) ينظر : محمد عبده دبور ، أسس بناء القصة في القرآن الكريم ، ص 20 .

وبعد هذا العرض الوجيز للدراسات السابقة للعرب في مجال القصص القرآني والتي بيّنت مجهوداتهم ، لأتطرق بعد الاستفادة منها إلى إثبات فنية القصة القرآنية من خلال جانبها اللغوي وبالتحديد من زاوية حروف المعاني .

الفصل الأول

مقومات البناء الفني

للقصة القرآنية

الفصل الأول

مقومات البناء الفني للقصة القرآنية

أولا : فنية القصة القرآنية .

01/ : تعريف القصة .

أ- لغة .

ب- اصطلاحا .

02/ فنيّة القصة القرآنية .

أ- تكرار القصة الواحدة .

ب- تنوع طريقة العرض .

ج- تنوع طريقة المفاجئة .

د- وجود فجوات بين المشاهد القرآنية .

هـ- التصوير في القصة .

ثانيا : أسس البناء الفنّي للقصة القرآنية :

01/ الحدث .

02/ الشخصيات.

03/ الحوار .

04/ الصراع .

05/ البيئة (الزمان والمكان)

أ- عنصر الزمان .

- التحديد التاريخي للأحداث .

- الإعجاز بذكر الزمن .

ب- عنصر المكان .

ثالثا : لغة القصة القرآنية وإمكاناتها الجمالية

01/ الحروف وأصواتها .

02/ الكلمات وحروفها .

أ- جمال وقعها في السمع .

ب- اتساقها الكامل مع المعنى .

- العلاقة بين الآية وفكرتها .

- ألفاظ يظن بها الترادف وليست منه .

- مشاكلة اللفظ للمعنى .

03/ الجمل وتركيبها :

أ- الإجمال .

ب- الكناية .

ج- تكرير الفعل (آتينا) في قصص الأنبياء .

أولا : فنية القصة القرآنية

شدت القصة القرآنية أنظار الباحثين وأقلامهم ، حين رأوا فيها معيناً لا ينضب من الجمال والجلال ، ذلك أنّ البحث في القرآن الكريم والتدبّر في معانيه عمل لا تنضب مادته وتذوق الجمال في النسق القرآني بما يُقدّمه لنا من صور تُتيح للنفس فرصة السُمو بالأفكار والمشاعر إلى قداسة الرسالة النبيلة للقرآن ؛ ليكون ذلك القصص هاديا المؤمنين إلى الطريق الصحيح والصراط المستقيم ، لذا كثُرت الدراسات والبحوث التي تسعى إلى دراسة القصص القرآني لإبراز القواعد والمقاييس النقدية في البناء الجمالي للقصة القرآنية وهذه الرسالة أحد تلك الدراسات ، وقد افتتحتُها بالمبحث الأول والذي سيعرض مقومات البناء الفني للقصة القرآنية .

01/ تعريف القصة

أ- لغة :

ذكر "ابن منظور" * أنّ القصة مأخوذة من الجذر الثلاثي (ق ص ص) الذي انتظمت اشتقاقاته عدّة معاني في القرآن الكريم ، فقد ورد بمعنى الاقتفاء وتتبع الأثر [1]،ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[سورة القصص ، الآية 11] أي تتبعي أثره إلى أين وقع وإلى من صار [2] . وقوله تعالى : ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾

* محمد ابن مكرم بن علي ، أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي الإمام اللغوي الحجة ، توفي عام 711 هـ من أشهر كتبه "لسان العرب" ، " مختار الأغاني" ، "نثار الأزهار في الليل والنهار ، ينظر : الزركشي ، الأعلام ، ج 07 ، دار العلم للملايين ط 15 ، 2002 م ، ص 108 .

1) ينظر : ابن منظور الإفريقي ، لسان العرب ، ج 05 ، تح : عبد الله علي الكبير وآخرين ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة (د ط) ، (د ت) ، ص 3651 .

2) ينظر : فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، مج 12 ، دار الكتاب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ط 01 ، 1990 م ، ص 197 .

[سورة الكهف ، الآية 64] ، ولهذا يقال للذي يقصّ القصص قصّاصٌ لأنّه يتتبع أحداث القصة خبرا خبرا .

وقال "ابن فارس" * : «ومن ذلك اشتقاق القِصاص في الجراح ، وذلك أنّه يُفعل به مثل فعله بالأول فكأنه اقتصّ أثره» [1] .

ووردت بمعنى الخبر والأمر والشأن والحكاية ، يقال ما قصتك أي ما شأنك ، القِصص بكسر القاف جمع القصة التي تكتب ، والقَصص بالفتح الخبر المقصوص [2] .

وبناءً على المعاني اللغوية السابقة الذكر يتبين أن القصة في أصلها اللغوي مأخوذة من القَص وهو اقتفاء الأثر وتتبعه ، كما تأتي بمعنى الشأن والخبر وهذا ما يتطرق إليه هذا البحث.

ب- اصطلاحا :

وعلى هذا المعنى اللغوي جاء معنى القصة والتي تطلق للدلالة على المتابعة وتتابع الأحداث مع ارتباطها واتصالها بعضها ببعض ، حتى إنّ القارئ والسامع ليبحث عن هذا التتابع والارتباط [3] .

* أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، أبو الحسن ، من أئمة اللغة والأدب . توفي عام 395 هـ ، من تصانيفه " المجمل" و"الصاحبي في علم العربية" ، انظر : الزركشي ، الأعلام ، ج 01 ، دار العلم للملايين ، ط 15 ، 2002 م ، ص 193 .

1) ابن فارس مقاييس اللغة ، ج05 ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د ط) ، 1979 م ، ص 11 .

2) ابن منظور ، لسان العرب ، ج 05 ، ص 3651 .

3) ينظر : عبد الرحمان النحلاوي ، التربية بالقصة ، دار الفكر ، دمشق ، ط 01 ، 2006 م ، ص 22 – 23 .

ويراد بها كذلك «الإخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضا» [1] . وهذا التعريف عام يضم القصة القرآنية وغيرها من القصص الأدبية إلاّ أنّ العلماء قد أفردوا للقصص القرآنية تعريفات خاصة منها :

تعريف الإمام "الرازي" الذي يجمع بين الاعتبار اللغوي لمعنى القصة والاعتبار الديني الماثل في قصد القرآن الكريم من قصصه وأهدافه التي ترمي إليها وبذلك يقرّب بين الاتجاهين في تعريفه للقصص القرآنية على أنها مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة [2] . إلاّ أنّ هذا التعريف قد يضُم إلى جانب القصة القرآنية خطبًا دينية وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر ، وغيرها من الكلام الهادف إلى الهداية والإرشاد .

فالقصص القرآني ليس مجرد أحداث تروى وتحكى ، وإنّما هي أحداث تتفاعل وتتحرك وتلد العبر والعظات للمصدقين ، والردع والزجر للمكذبين .

ويعرفها "سيد قطب بقوله :«القصة في القرآن ليست عملا فنيّا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه ... إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الذهنية » [3] . فكانت إحدى وسائله لإبلاغ الدعوة الدينية وتثبيتها مع استيفائه ا لكل مقومات وأسس الفن القصصي الخالص .

وقد عرفها الدكتور "عبد الكريم الخطيب" بقوله :«أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدّث به من أخبار القرون الأولى في مجال الرسالات السماوية ، وما كان يقع في محيطها

1) محمد بن صالح العثيمين ، الأصول في التفسير ، دار ابن الجوزي ، للنشر والتوزيع ، (د ط) ، 2008 م ، ص 57 .

2) ينظر : سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط 01 ، 2006 م ، ص 36 – 37 نقلا عن فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 01 ، 2000 م .

3) سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص 143 .

من صراع بين قوى الحق والضلال وبين مواكب النور وجحافل الظلام» [1] ، تدور حول إخبار الله عمّا حدث للأمم السابقة مع رسلهم وما حدث بينهم وبين بعضهم أو بينهم وبين غيرهم أفرادا وجماعات .

وبناءً على ما ذكر فإن القصص القرآني في اصطلاح العلماء يشترك في كونه حديثا عن الأمم الماضية والأنباء السابقة ووصف أحوال وأخبار السابقين وأحوالهم مع التركيز على مواطن العبرة ، وهو الهدف الأساس من سوق القصص القرآني ؛ للاستفادة من تلك الأخبار في الحاضر في مجال التسلية والمواساة واستشراف الأمل في المستقبل .

02/ فنيّة القصة القرآنية

أثار القرآن الكريم في أساليبه الرسالية أكثر من أسلوب وصولا إلى عقل الإنسان وشعوره وكانت القصة من بين الطرق التي سلكها القرآن في هذا السبيل ، ولذلك لا يسعنا إلاّ أن نقرّ بأنّ هذا القصص بعض القرآن فيثبت له ما يثبت لجميعه من إعجاز آياته المشتملة على أسلوب القرآن التصويري المعجز في وحدة فنية رائعة [2] .

«وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها وفي طريقة عرضها وإدارة حوادثها لمقتضى الأغراض الدينية ... ، ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني ووفائها به تمام الوفاء لم يمنع بروز الخصائص الفنيّة في عرضها » [3] ، فقد قدّم القصص القرآني لوحات خالدة وصورا مثيرة تلفت نظر الأعمى والبصير ، والأمي والمتعلّم والمرأة والرجل ، والشيخ والشاب [4] .

1) عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، ط 02 ، 1975 م ، ص 40 .

2) ينظر : سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص 35 .

3) سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص 143 .

4) ينظر ، عبد الله شحاتة ، علوم القرآن ، دار غريب للطباعة والنشر ، (د ط) ، (د ت) ، ص 128 .

ويعد العرض الفني للقصة في القرآن الكريم من أصلح الأساليب لخطاب العامة والخاصة كما أنه يقدم قناطير مقنطرة من المعاني بعدد قليل من الألفاظ والكلمات [1] ، ذلك أن «القرآن الكريم يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني ، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنّية » [2] .

فالقصص القرآني بوصفه أهمّ المصادر وأوثقها في أيدي العرب لمِنهج متميز في قصّ القصص باللغة العربية ، تكفي للكشف عن الفرق الهائل بين القصص القرآني وقصص الشعوب واللغات الأخرى من الأساطير والروايات والمسرحيات ، بلغ هذا الفارق الحد ما بين الجد والهزل وما بين الحق والكذب ، فالفارق شاسع وفي جميع المجالات والمقاصد والأغراض [3] .

حيث نجد القصة في مفهوم القرآن الكريم تختلف عن القصة بالمعنى الأدبي الحديث وتلك الحقيقة لا يماري فيها إلاّ مكابر ، ذلك أن القصة الأدبية في القديم وفي الحديث لم تقف عند الحقيقة التاريخية وحدها بل كانت تعتمد على كثير أو قليل من عنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الأحداث بألوان غير ألوانها وأن يبدل ويغير في صورها وأشكالها ، وذلك لكي تبدو الأحداث مختلفة في وجودها عما ألف الناس أن يروها عليه [4] .

أما القصة القرآنية فهي بمعزل عن الأساطير المنسوجة من صنع الخيال فهي قصة واقعية بنيت بناءً محكما من لبنات الحقيقة المطلقة التي لا يطوف بحماها طائف من خيال ولا يطرقها طارق منهم [5] «فالقصص أنباء وأحداث تاريخية لم تلتبس بشيء من الخيال ولم يدخل عليها

1) ينظر ، عدنان زرزور ، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه ، دار الإعلام ، بيروت ، ط 01 ، 2005 م ، ص 360 .

2) سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص 171 .

3) ينظر : أحمد موسى سالم ، قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح ، دار الجيل ، بيروت ، (د ت) ، ص 211 .

4) عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص 39 .

5) المرجع نفسه ، ص 40 .

شيء غير الواقع ، ومع هذا فقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من القصص من الإثارة والتشويق مع قيامه على الحقائق المطلقة ، الأمر الذي لا يصلح عليه القصص الأدبي بحال أبدا» [1] ، ومع ذلك يتفقان نوعا ما في العناصر الأساسية لكليهما من حوار وشخصيات وحوادث وزمان ومكان .

فالقصة القرآنية وإن سعت إلى بناء الفرد والمجتمع وتقويم الحياة بشكل عام فهي تحمل منهجا فنيا متكاملا لبناء القصة الفنية ، ولا ينفي كونها مشرعّة وبانية للفرد والمجتمع أن تكون قصة فنيّة سامية في أسسها ومنهجها دون أن يكون فيها أسطورة أو رمز ، أو خلق فنّي بالمعنى الذي قصدته نظرية الرواية الحديثة ؛ أي الكذب المعلل تعليلا فنيا سواء أكان مقنعا أو غير مقنع ، فمن أراد مدرسة للبلاغة وفن التعبير البلاغي لا يجد خيرا من مدرسة القرآن ؛ كذلك الشأن بالنسبة لفن القصة أو فن بناء القصة الفنّية ، نجد القرآن يمدّنا بالنموذج الأوفى لهذا الحيّز وهو قصة سيدنا يوسف عليه السلام والتي وصفها الله عز وجلّ بأحسن القصص [2] .

ومع أنّ القصة القرآنية خضعت للغرض الديني إلاّ أن هذا الخضوع لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها ، بل كان من أثر هذا الخضوع تجلي خصائص فنية بعينها تحسب في الرصيد الفني للقصة في عالم الفنون الطليق [3] .

1) سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص 39 .

2) خالد أحمد أبو جندي ، الجانب الفني في القصة القرآنية – منهجها وأسس بناءها- ، دار الشهاب للطباعة والنشر ، باتنة ، الجزائر ص 128 – 129 .

3) ينظر ، سيد قطب ، التصوير الفني للقرآن ، ص 171 .

ويمكن إجمال أبرز الخصائص الفنية للقصص القرآني في ما يلي :

أ- تكرار القصة الواحدة

بحيث نجد القصة نفسها مكررة في مواضع شتى ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلّها غالبا ، إنّما هو تكرار لبعض حلقاتها ومعظمه إشارات سريعة لمواضع العبر فيها .

أما هيكل القصة كلّه فلا يتكرر إلاّ نادرا ولمناسبات خاصة في السياق ، ومثال ذلك قصة سيدنا موسى – عليه السلام – حيث أنها أكثر القصص تكرارا في القرآن الكريم ؛ وردت في حوالي ثلاثين موضعا وهو تكرار نسبي وليس مطلقا [1] ، بمعنى أنّ الغرض الديني هو الذي يملي إعادة القصة وإلباسها في كلّ مرّة ثوبا جديدا ، ويظل مستوى القصة القرآنية في الذروة رغم تكرارها ، فيتغير تأثيرها وإيحاؤها بكلمة تضاف أو جزء يحذف أو عبارة جديدة [2] فمهما تكررت تتسم بمزايا خاصة وتأثير معين في كل مرّة يختلف عمّا قبله [3] وله حِكم جليلة منها إثبات بلاغة القرآن وبيان قوة إعجازه وهو ما لا ينبغي إلاّ لكتاب الله عزّ وجلّ .

ب- تنوع طريقة العرض

وذلك من خلال انتخاب أجزاء من القصة فهي تتنوع بالقدر الذي يكفي لأداء الغرض الديني الذي سيقت لأجله كالآتي :

* ذكر ملخص للقصة يسبقها ثم عرض تفصيلاتها من بدايتها إلى نهايتها ، وذلك كطريقة قصة (أهل الكهف) فهي تبدأ ملخصة في قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا

1) ينظر : بكري شيخ أمين ، التعبير الفني في القرآن ، دار الشروق ، ط04 ، 1980م ، ص 219 – 220 .

2) ينظر : عدنان محمد زرزور ، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه ، ص 161 .

3) ينظر ، سيد قطب ، التصوير الفني للقرآن ، ص 156 .

مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [سورة الكهف الآية 9 – 12] ثمّ يتبع هذا التلخيص تفصيلات تشاورهم قبل دخولهم الكهف وحالتهم بعد دخوله ، ونومهم ويقظتهم وإرسالهم واحدًا منهم ليشتري لهم طعاما ، واكتشاف أمره في المدينة وعودته وموتهم ، وبناء المعبد عليهم ... إلخ ، فكان التلخيص بمثابة مقدمة مشوقة للتفصيلات اللاحقة له [1] .

* ذكر عاقبة القصة وهدفها ثمّ بدايتها وسير خطواتها مثال ذلك قصة سيدنا يوسف – عليه السلام – ، فهي تبدأ بالرؤيا التي يقصها يوسف على أبيه ، فينبّئه بما سيكون له من شأن عظيم ، ثمّ تسير الأحداث بعد ذلك وكأنما هي تأويل للرؤيا ولما توقعه يعقوب – عليه السلام – من ورائها ، حتى إذا تحققت كل الأحداث وانتهت القصة [2] .

* ومرة يحيل القصة تمثيلية فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض ثمّ يدع القصة تتحدث عن نفسها بوساطة أبطالها ، وذلك كالمشهد من قصة إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة البقرة الآية 127] هذه إشارة البدء ، أما ما يلي ذلك فمتروك لإبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام– ، إلى نهاية المشهد الطويل [3] .

1) ينظر : المرجع السابق ، ص 181 .

2) منار عمر درويش الحلو ، التعامل في ضوء القصص القرآني ، ص182 .

3) ينظر : المرجع السابق ، ص 182 – 183 .

* ذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص ويكون في مفاجأتها الخاصة ما يُغني ، مثاله في قصة مريم – عليها السلام – عند مولد عيسى – عليه السلام – ، وأيضا قصة سيدنا سليمان مع الهدهد والنمل [1] .

ج- تنوع طريقة المفاجأة

وذلك على وجوه منها :

* كتم سرّ المفاجأة عن طريق البطل وعن الناس ، حتى تُكشف لهم معا في آنٍ واحد ومثال ذلك قصة تساؤلات سيدنا موسى مع الخضر – عليهما السلام – في سورة الكهف .

* كشف السر للناس وترك أبطال القصة في عماية عنه ، وهؤلاء يتصرفون وهم جاهلون بالسر وأولئك سيشاهدون تصرفاتهم عالمين ، وأغلب ما يكون ذلك في معرض السخرية ، وقد شاهدنا مثالا من ذلك قصة أصحاب الجنة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [سورة القلم ، الآية 17] .

* انعدام السر وكشف المفاجأة للبطل والناس في آنٍ واحد ، فقد فوجئنا مع السيّدة مريم بالمخاض [2] .

د- وجود فجوات بين المشاهد القرآنية

تتيح فجوات القصة القرآنية تخيل القنطرة بين المشهد السابق واللاحق الناتج عن تقسيم المشاهد وقص المناظر ، وهي طريقة متّبعة في جميع القصص القرآني ، ومثالها من قصة يوسف

1) ينظر : المرجع السابق ، ص 182 .

2) ينظر : منار عمر درويش الحلو ، مذكرة آداب التعامل في ضوء القصص القرآني "دراسة موضوعية " ، إشراف محمود الهاشم ، محمود عنبر ، الجامعة الإسلامية غزة ، كلية أصول الدين ، قسم التفسير وعلوم القرآن ، 2011 م ، ص 183 – 187 . .

– عليه السلام – التي احتوت ثمانية وعشرين مشهدا منها : شراؤه طفلا ومكوثه في بيت عزيز مصر ، ثمّ وصوله إلى مرحلة الشباب وهنا فجوة زمنية من عمره عليه السلام لم تذكرها الآيات ومثال الفجوة المكانية قدوم إخوة يوسف – عليه السلام – في سنوات الجدب يطلبون القمح وحادثة وضع صواع الملك في راحة أخيهم والإبقاء عليه ، ثمّ إسدال الستار على هذا المشهد للانتقال إلى مشهد آخر أمام أبيهم[1] وهو يخاطبهم بقوله : ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة يوسف الآية 33] .

وهكذا يترتب على تقسيم المشاهد عنصر البديع الذي يتصل بالتناسق الفني ، فيجذب الأنظار نحو الأحداث القصصية لتنطلق في أجوائها [2] .

هـ– التصوير في القصة

وهو أبرز الخصائص الفنيّة فيها ذلك أن القرآن يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها ، فتستحيل القصة حادثا يقع ومشهدا يجري لا قصة تروى ولا حادثا قد مضى ، فالتصوير في مشاهد القصة بمثابة ألوان : لون يبدو في قوة العرض والإيحاء ، ولون يبدو في تخييل العواطف والانفعالات ، ولون يبدو في رسم الشخصيات وهي ألوان ليست منفصلة وإن برزت إحداها في بعض المواقف على اللونين الآخرين ، فهي لمسات فنيّة كلها تبدو في مشاهد القصص جميعا [3].

1) ينظر : المرجع السابق ، ص 187 – 188 .

2) ينظر : محمود السيد حسن ، روائع الإعجاز في القصص القرآني ، المكتب الجامع الحديث ، الإسكندرية ، ط 02 ، 2003 م ص 90 .

3) ينظر ، سيد قطب ، التصوير الفني للقرآن ، ص 90 .

وبعد عرض الخصائص الفنيّة للقصة القرآنية يمكن القول بأنه إن كانت هناك مدرسة نقدية تحاول أن ترفع من شأن القصة وتعلي من قدرها في إطار فنّي ، فذلك بعد أن تتمثل القصة القرآنية بما لها من أضواء وظلال وما حولها من متعة وتلاحم وعظمة [1] .

1) ينظر : عمر باحاذق ، الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف ، دار مأمون للنشر ، (د ط) ، (دت) ، ص 09 .

ثانيا : أسس البناء الفنّي للقصة القرآنية

على الرغم من أن القرآن الكريم يقصّ علينا القصص لأغراض دينية من تربية وتوجيه ووعظ يدعم الفرد والمجتمع ، أكثر منها موجهة للغاية القصصية الفنية ، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع وجود الخصائص الفنيّة فيها ، ذلك أنّ عناصر القصة هي الركن الأساسي في بنائها من حيث الحدث الشخصية ، الحوار ، الصراع ، البيئة (الزمان والمكان) «تتوزع في القصة القرآنية توزيعا يبلغ حدّ العجب من الناظر فيه بفكر ، والمتفطن له بفهم والفاحص عن أسراره بعمق ، وهو يوزع على أساس عنصر واحد ، وإلقاء الضوء القوي عليه حتى يحل مكان الصدارة ... فلن نجد عناصر الأحداث والأشخاص والحوار مجتمعة في كل قصة قرآنية وموزعة التوزيع الذي يجعل لكل عنصر منها قيمته وخطره في القصة بحيث لو اختفى لاختل التوازن الفنّي وانهدّ ركن من أركان البناء القصصي ... ويتبع هذا التوزيع الغرض الديني ويجري معه في مضمار» [1] .

وعليه فإنّ القصة القرآنية تبنى على مقامات وهي :

01/ الحدث

إن القصة الفنيّة في القرآن الكريم نظمت في خيط حبكتها مجموعة من الأحداث الفنيّة الناضجة ؛ أي أن يكون الحدث ذا ثلاثة أجزاء متظافرة بداية ، وتوتر فيه إثارة ، ونهاية مفتوحة بمعنى أنها تسمح بتوليد الحدث من الحدث ، وهذا الشكل للحدث يسمح له أن يسهم مباشرة في تنمية الفكرة العامة للقصة [2] ، ويجعله يدخل في نسج الحبكة كغرزة من غرز الحبك الفنّي لحكاية القصة ، فكان في كل منها المصوغ الفنّي لإثارة سلسلة من الأحداث تربت على شكل السبب والنتيجة ، وبهذا التداخل والتلاحم أصبح من الصعب الاستغناء عن حدث أو إغفال حدث ولو

1) سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص 68 .

2) ينظر : خالد أحمد أبو جندي ، الجانب الفني في القصة القرآنية ، ص 148 .

كان طارئا دون نقض غرز الحبكة الفنّية أو تناثر أجزاء الفكرة العامة للقصة الفنيّ في القرآن الكريم ، وهذا يعني قوة شد الحبك الفنّي ومتانة بناء هيكل القصة الفنيّة [1] . «ويعد هذا العنصر من أهم العناصر في القصص القرآني كلّه وهو موجود في كل قصة سواء كانت طويلة أم قصيرة أو بين بين ، وسواء أكانت من قصص الأنبياء أم غيرهم ، وسواء أكانت موزعة الحلقات أم معروضة في معرض واحد أو اعتمدت على طريقة السرد فحسب أو على طريقة السرد والحوار معا ؛ فهو عنصر ضروري لا تقوم القصة إلاّ به ولا تكون إلاّ على وجوده» [2] فالحدث يؤدي دورا حساسا في شد الحبكة الفنيّة ، فهو بمثابة مقاطع استعراضية يحمل كل حدث منها جزءًا متمما لما قبله ومن ثمّ كان من الصعب حذف حدث منه ، حيث يترتب عن هذا الإهمال جزئية من القصة [3]

وبذلك يكون الحدث جوهر الفعل القصصي وإطاره الموضعي والفني ، وهو علاقة الاستقطاب والدفع التي تتحرك عبرها الشخصية أو شخصيات القصة ضمن شروط السياق الزماني والمكاني [4] .

02/ الشخصيات

عنيت القصة القرآنية في معظمها بعرض الشخوص من ناحية تفكيرهم وأعمالهم وحركاتهم تاركا للقارئ التعرف عليها من طرق تفكيرها ونهج أعمالها وسبحات روحها حتى لكأنها الشخص الذي نعاشره منذ زمن ، فعرفنا خلقه ومزاجه وطوايا عقله وخبايا فؤاده ، ولم يعن برسم الخطوط الشكلية للشخصية وإبراز ملامحها الخارجية التي تجعلها كأنها ماثلة للعيان ؛ لأن ذلك كله

1) ينظر ، المرجع السابق ، ص 148 .

2) عبد الجواد محمد المحمص ، أدب القصة في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز ، الدار المصرية ، الإسكندرية ، 2000م ص 134 .

3) ينظر : خالد أحمد أبو جندي ، الجانب الفني في القصة القرآنية ، ص 156 .

4) ينظر : سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1998 م ، ص 79.

لا يخدم أي غرض ديني من أغراض القصة القرآنية وإنما يكشف القرآن عن مزاج الشخصية وعن دوافعها وانفعالاتها وسلوكها من خلال الوصف أو السرد أو الأحداث بصورة عرضية لم تقصد لذاتها بالأصالة [1] .

ولا نستطيع فصل الشخصية الفنيّة عن الحدث ؛ إذ أن معنى القصة لا يقوم أو يتضح في جزء من أجزائها دون الأجزاء الأخرى وبذا تكون الشخصية مرتبطة بالحدث والحدث مرتبط بالشخصية [2] فهما المحوران اللذان تقوم عليهما القصة ، بمعنى أن تكون الشخصية هي الفلك الذي يدور حوله الحدث ، أو تكون الأحداث هي المركز الذي تدور في دائرته الشخصيات ، وقد تتوازن في العمل القصصي الشخصية والحدث فيتبادلان نقطة الارتكاز والتجمع مرة بعد أخرى [3] .

فالشخصية في القصة القرآنية تذكر كنماذج بشرية تعرض لنلتمس العبرة من مواقفها المتباينة ، «وينظر إليها بهذا الاعتبار الذي تؤدي فيه دورها كشاهد من شواهد الإنسانية في قوتها أو ضعفها ، وفي استقامتها أو انحرافها ، وفي هداها أو ظلالها وفي رشدها وحكمتها أو سفاهتها ... إلى غير ذلك مما تندرج تحته عوالم الإنسانية وتتشعب فيه مذاهب سعيها ومسلكها في مضرب الحياة » [4] .

وقد تكون شخصية مثالية أو عادية أو جامعة بينهما ، ومهما يكن فإنّ الشخصية هي التي تحرك الأحداث ، والأحداث تحركها أيضا .

1) ينظر : سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص 93 .

2) ينظر : خالد أحمد أبو جندي ، الجانب الفني في القصة القرآنية ، ص 147 .

3) ينظر : عبد الجواد محمد المحمص ، أدب القصة في القرآن الكريم دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز ، ص 149 .

4) عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني ، ص 44 .

ومن شخصيات القصة القرآنية ما ينتمي إلى عالم الغيب مثل الملائكة الذين كان لهم حضور ومشاركة في قصة آدم وبعض مشاهد قصة مريم وزكريا ، ومنها ما ينتمي إلى عالم الشهادة ، وقد تكون مؤمنة كالأنبياء والصالحين منهم العبد الصالح الذي لقيه موسى ، والشيخ الكبير في مدين ، ومؤمن آل فرعون ، وقد تكون كافرة تمثّل الزعماء مثل فرعون وقارون وهامان ، ومنهم من ذكروا بصفة من صفاتهم كالملك أو العزيز في قصة موسى عليه السلام .

والشخصيات في القصة موزعون بين شخصيات رئيسية وثانوية فالشخصيات الرئيسية هي التي تسهم في صنع الأحداث أو تدور حولها من أمثلتها : آدم ، إبراهيم ، نوح وهود ... إلخ .

أمّا الشخصيات الثانوية فهي التي لها دور محدود في القصة ولا يتكرر ظهورها فيها ، مثال ذلك : شيخ مدين وابنتاه في قصة موسى عليه السلام ، ولها أهمية في صناعة خلفية المشاهد ومجريات الأحداث في القصة [1] .

وتعرض الشخصيات في القصة القرآنية كنماذج بشرية للاقتداء بها إن كانت خيِّرة أو التنفير منها إن كانت شريرة .

03/ الحوار

يشكل الحوار أبرز تقنيات الخطاب القرآني وسمة من سمات الوحدة الفنيّة للقصة القرآنية والمحاورة بين الأنبياء وأقوامهم ضرب من إيضا ح الفكرة وسبيل العرض للموضوع لبلورة الهدف الذي من أجله سيقت القصة ، ويكشف عن طبيعة الشخوص ويوضح بها اتجاهاتهم وما تنطوي عليه نفوسهم [2] فتواتر الافتتاحات الاستفهامية في عدد من سور القرآن في قوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ

1) مأمون فريز جرار ، خصائص القصة الإسلامية ، دار المنار ، جدة ، السعودية ، (د ط) ، (د ت) ، ص 77 .

2) ينظر : سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني ، ص 73 .

حَدِيثُ الغَاشِيَّة ﴾ [سور الغاشية ، الآية 01] وقوله تعالى : ﴿أَرَأَيتَ الذِي يُكَذّبُ بالدِينِ ﴾ [سورة الماعون ، الآية 01] يكشف عن المنحى الحواري القرآني ، ذلك أنّ صيغة الاستفهام تقتضي بداهة الرد عليها إما بواسطة المستفهم ذاته أو من خلال الآخر ، وفي الحالتين فإنّ إطار المحاورة يبقى ثابتا .

ويمكن القول أنه لا يوجد عمل فنّي دون حوار ؛ لأنّه كما قال الدكتور "بكري شيخ أمين" « ... محرك الأحداث ، ومصور الشخصيات ، ومبلغ الصراع ، ومؤدي إلى الهدف ومظهر المغزى » [1] .

وعليه كان للحوار وظيفة بنائية هامة ، واشتمل على مستويات من التشكيلات الحوارية كالآتي :

1-المخاطب ⇆ المخاطبين اثنين ، مثل قوله تعالى : ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [سورة طه الآية 43] .

2-المخاطب ⇆ المخاطبين جماعة [2] نحو قوله تعالى : ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الأعراف ، الآية 48] .

كما أنّ للحوار أوجها متنوعة ، فقد يكون مباشرا حينا وغير مباشر أحيانا ، ومتسلسلا ومتساوقا لا يترك أمرا إلاّ وتحدث به أو منقطعا يترك بعض الفجوات للقارئ أو السامع ليملأها من طبيعة تفكيره ، ويلاحظ في طبيعة الحوار في مجمله وعلى مختلف ضروبه هي أنّه لا يوضع على

1) بكري شيخ أمين ، التعبير الفنّي في القرآن ، ص 223 .

2) ينظر : سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني ، ص 186 .

ألسنة الشخصيات وإنّما ينطلق منها انطلاقا طبيعيا أو تلقائيا دون أن يحسّ القارئ بشيء من آثار الصنعة أو التكلف [1] .

ويبقى أسلوب القرآن بتنوعاته أسلوبا قرآنيا إعجازي ا لا يضعف من ناحية ويسمو من أخرى كما هو الحال عند الكتّاب العاديين من البشر .

04/ الصراع

المراد من الصراع هو المقاومة بين عنصر الخير والشر وبين الحق والباطل ، وهو الهداية والدعوة إلى الإيمان أو الإيمان والكفر ، أو الفطرة السليمة والطوارئ التي تجنح بها ذات اليمين وذات الشمال ، ويختلف هذا الصراع من حين إلى آخر ماديا ونفسيا ، ويتجلى الصراع المادي في موقف موسى عليه السلام مع السحرة ، والصراع النفسي في موقف إبراهيم عليه السلام من الشمس والقمر والكوكب . فالصراع قياسا إلى الحدث يأخذ صورة تتفق مع نوع الشخصية ومكوناتها الجسمية والاجتماعية والنفسية ، فهو يبدأ صراعا فكريا يجري داخل كل من الخير والشر ثمّ يتدرج على الصراع المادي تلعب فيه الوسائل الكلامية المنطقية ووسائل القوة المادية دورا كفيلا لتطويره حيث تجعل الكافر أحمق مندفعا طائشا يعتمد على الظن والقوة المرئية فحسب من عتاد وسحرة ووعود باطلة كما هو الحال في قصة موسى عليه السلام ، فيما يكون النبي متريثا معتمدا على الإلهام والتشجيع والوعود الإلهية المبشرة بالنصر .

وللصراع في القصة القرآنية أثر يظهر في ربطه بين الأحداث من جهة والشخصيات من جهة أخرى ، والحوار من جهة ثالثة من جميع جهاتها ويستولي عليها ثمّ يمضي بها إلى غاية مطلوبة [2] ، ويظهر في قصة يوسف عليه السلام هذه الجوانب المختلفة ، الصراع القائم بين يعقوب

1) ينظر : بكري شيخ أمين ، التعبير الفنّي في القرآن ، ص 232 .

2) ينظر : سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني ، ص 191 .

وأبنائه ، وبين يوسف عليه السلام وزوجة العزيز ، وبين يوسف وإخوته بعد تسلمه مقاليد مصر ، ولكنّ الصراع ثابت على طبيعته الأصلية وهي الإيمان والضلال [1] ، وعادة ما ينطلق الصراع سجالا غير أنّ النصر في النهاية يكتب للخير على الشر ، لتصبح الشخصية الشريرة عبرة والشخصية الخيّرة قدوة وبالتالي تحقق القصة غايتها ومبتغاها .

05/ البيئة (الزمان والمكان)

يبرز القصص القرآني أحداثه ويصورها في عاملين أساسين هما الزمان والمكان

أ– عنصر الزمان :

لقد تعاملت القصة القرآنية مع عنصر الزمان بإدراك ووعي تامين ؛ لما له من صلة وثيقة بأحداث القصة وشخصياتها ، فالزمن مفهوم تجريدي يرتبط بمفهوم القدم ، الحدوث الصيرورة والأزلية [2] «إنّ العنصر الزمني مما تقوم عليه القصة الناجحة ، فالخيوط الزمنية تمسك بكل جزئيات القصة حتى تطلع بها في الوقت المنشود ، كما أنّ اختفاءه يستوجب اختفاء عنصر مهم من القصة» [3] ، وبذلك يكون القرآن الكريم قد أعطى للزمن وتنظيمه قيمة كبيرة وحرص كلّ الحرص على التصريح لكل جزئيّة من جزئيات الزمن التي تساعد في توضيح الحدث أو القصة معرفة واعتبارا ، فالعنصر الزمني يظهر حيث يتطلبه الموقف ، ويستدعيه المقام لإخراج الحدث في صورة تقرب المشهد وتجليه وتكشف مراميه ؛ ليكون له مكانه الملحوظ في سير أحداث القصة [4] .

1) ينظر : بكري شيخ أمين ، التعبير الفنّي في القرآن ، ص 221 .

2) ينظر : سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني ، ص 95 .

3) سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص 74 .

4) ينظر : عبد الجواد محمد المحمص ، أدب القصة في القرآن الكريم ، ص 256 .

وعليه كان للزمان دور هام في بناء القصة ، فهو يعطي للحدث صيغة خاصة تشير للوقت الذي وقع فيه ، وتضفي عليه دلالات متعددة والسرد القصصي قد سخّر عنصر الزمن لأمور عدّة منها :

– التحديد التاريخي للأحداث :

والهدف من ذلك إبراز وقت وقوع الحادثة مما يجعل الحادثة مبعثا للجدل من حيث التصديق والتكذيب ، فالزمن الذي اختاره إخوة يوسف لتنفيذ المكيدة مناسب لوقت الحادثة [1] يقول الله عزّ وجلّ ﴿وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16 (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 16 -17] ، فقد حرص القرآن على ذكر الزمان الذي دُبّرت فيه الجريمة وهو العشاء الذي كان مناسبا لتستّر إخوة يوسف بظلامه لحبك مآمرتهم وتنفيذ مكيدتهم .

– الإعجاز بذكر الزمن :

قصد توضيح أنّ الله سبحانه وتعالى ليس خاضعا لما يخلق من أزمان مثلما نحن خاضعون وإنّما هو فوقها جميعا ومتعالٍ عليها [2] على نحو ما جاء في قوله تعالى : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة ، الآية 259] .

1) ينظر : طول محمد ، البنية السردية في القصص القرآني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (د ط) ، 1991 م ، ص 34 – 35 .

2) ينظر : المرجع نفسه ، ص 39 .

وبناء على ما تقدم ذكره يمكن القول أنّ الزمن في القصص القرآني له قيمة كبرى لا من حيث التاريخ الزمني للقصة ؛ لأنّ القرآن الكريم لا يحفل بذلك كونه لا يضيف شيئا جديدا إلى المقصود من القصة ، ولكن من حيث الوضع الخاص للزمن ؛ ذلك الوضع الذي يؤثر في الحدث أو يبرز ملامحه أو يقيم شواهد العبرة والعظة منه ، فيلتفت إله القرآن ويذكره صراحة في قصصه ، حتى لا تفتقد القصة ذلك اللون الخاص من الزمن إذا هي لم ترد في صحبته ولم تتلبّس به ، وقد استخدم الأسلوب الغيبي في سائر الأنباء التي قصها وكان الزمن الماضي البعيد الموغل في القِدم نصرا أصيلا بارزا من عناصر الإعجاز الغيبي فيه [1] .

ب– عنصر المكان :

حين النظر إلى القصص القرآني المعجز من الزاوية المكانية فيه نجد أن القرآن الكريم ينظر للمكان على النحو الذي ينظر به إلى الزمان [2] . «فالمكان للأحداث أشبه بالوعاء الحامل لها على حين أنّ الزمان هو اليد الحاملة لهذا الوعاء » [3] ، وهو لا يعنى بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها إلاّ إذا كان لها وضع خاص يؤثر في سير الحدث أو يبرز ملامحه أو يقيم شواهد العضة والعبرة منه ، ففي هذا يلتزم القرآن الكريم بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها وذلك لبيان الغرض المقصود من القصة ، وتهب منه على الحدث سمات وأشعة ، ويكون ذا قيمة نفسية وروحية عظيمة تفتقدها الحادثة إذا لم تصحب المكان المنصوص على اسمه ولم تلبس به [4] .

1 ينظر : عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في منظومه ومفهومه ، ص 89 .

2) ينظر : المرجع نفسه ، ص 95 .

3) نفسه ، ص 91 .

4) ينظر : المرجع نفسه ، ص 95 – 96 .

فالمكان يلعب دورا هاما في بناء القصة وفي تركيبها إذ يعدّ الإطار الذي تنطلق منه الأحداث وتسير فيه الشخصيات ، بل يتجاوز كونه مجرّد إطار ليصبح عنصرا حيّا فعالا في هذه الأحداث وهذه الشخصيات [1] .

ويذكر المكان صراحة باسمه عندما يحتاج إلى أثره المباشر ، مثال ذلك ما جاء في قصة يوسف عليه السلام من ذكر اسم مصر صراحة غير مرّة ، لما له من ضرورة كونه مسرحا لأغلب أحداث القصة وقد يحسب البعض أنّه إذا سقط اسم مصر من هذه القصة لما نقص من مضمونها شيء ، ولكن الأمر على خلاف ذلك ، فذكرها كان لا بدّ منه إذ دارت أغلب الأحداث عليها ؛ ابتدأ من بيع يوسف واسترقاقه حيث يقول تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 21] إلى آخر أحداث القصة ومجيء يعقوب عليه السلام وبنيه واستقرارهم بها [2] ، وفي هذا يقول تعالى ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 99] .

وبالتالي فإنّ للمكان قوة عاملة في تشكيل الأحداث وإبراز معالمها حينما يكون له طبيعة خاصة يتأثر بها الحدث ولا يقع له هذا التأثير في مكان آخر [3] .

وبعد عرض أسس البناء الفني في القصة القرآنية يمكن القول بأنّ التعبير القرآني ألّف بين الغرض الديني والغرض الفنّي فيما يعرضه من الصور والمشاهد ، بل أنّه يجعل الجمال الفنّي أداة

1) ينظر : طول محمد ، البنية السردية في القصص القرآني ، ص 43 .

2) عبد الجواد محمد المحمص ، أدب القصة في القرآن الكريم ، ص 283 – 284 .

3) ينظر : عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في منظومه ومفهومه ، ص 94 .

مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنيّة [1] .

والقصة القرآنية لها خصوصيتها الفنيّة التي تعزز أدبيته ا الإعجازية وتعمق وظيفتها التأثيرية وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنّها أجلّ من أن تشرك ولو تسمية مع جنس من الأجناس الأدبية .

1) ينظر : سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص 143 .

ثالثا : لغة القصة القرآنية وإمكاناتها الجمالية

ينفرد القرآن الكريم بأسلوبه المعجز في عرض قصص الأنبياء والأمم السالفة ويتميّز هذا الأسلوب بخصائص جليّة تعطي للنسق القصصي روعة ووضوحا وتكون لها آثارها العميقة في النفس ، وهذا الأسلوب إنّما هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كلّه وهو الذي قطع العرب دون المعارضة ، واعتقلهم عن الكلام فيه وضربهم بالحجة من أنفسهم ، ويتبيّن ذلك من طرق نظمه ، ووجوه تركيبه ، ونسق حروفه في كلماته ، وكلماته في جملها [1] والقصص القرآني باب من أبواب البيان القرآني العظيم ... ففيه من إعجاز القرآن ما في سائر أبوابه ، وبذلك يتضح أنّ أهم الخصائص اللغوية في القصص تدور حول جهات ثلاث في الحروف ، الكلمات والجمل .

01/ الحروف وأصواتها

إنّ مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي وهو سبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه مدا أو غنّة أو لينا أو شدّة ، وحسبنا اعتبارا في إعجاز النظم الموسيقى في القرآن وقصصه لترتيب حروفه نظرا لأصواتها ومخارجها ، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر والشدة والرخاوة ، والتفخيم والترقيق ... ونحو ذلك مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى [2] .

ونظام الفواصل وتنوعها في الأمثلة القصصية بين الطول والقصر تبعا للسياق الذي تسير عليه الآيات مثاله ما ورد في سورة مريم من نظم موسيقي عجيب ، تحس أن للسورة إيقاعا موسيقيا خاصا فحتى جرس ألفاظها وفواصلها فيها رخاء وعمق «رضيا ، سريا ، حفيا ، نجيا» أمّا المواضع التي تقتضي الشدّة والعنف فتجيء فيها الفاصلة دالا مشددة في الغالب «مدا ، ضدا

1) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ط01 ، 1981 م ، ص 67 .

2) سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص 149 -150 .

إدا» وتنوع إيقاع الموسيقى والفاصلة بتنوع الجو والموضوع يبدو جليا في هذه السورة فهي تبدأ بقصة زكريا ويحي عليهما السلام فتسير الفاصلة كالتالي : ﴿كهيعص (1)ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً (4)وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً (5) ﴾ [سورة مريم ، الآية 1 – 5] وتليها قصة مريم وعيسى عليهما السلام فتسير الفاصلة على النظام نفسه : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيّاً (18 (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بَغِيّاً (20) ﴾[سورة مريم ، الآية 16 -20] ، ويجيء التعقيب لتقرير حقيقة عيسى ابن مريم وللفصل في نبوءته فيختلف نظام الفواصل فتطول الفاصلة وتنتهي بحرف الميم أو النون المستقر الساكن عند الوقف لا بالياء الممدودة الرخيّة على النحو التالي : ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنْ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (38) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (39) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾[سورة مريم ، الآية 34 – 40] فإصدار الحكم بعد نهاية القصة تقتضي أسلوبا موسيقيا غير أسلوب الاستعراض وتقتضي إيقاعا قويا رصينا ، بدل إيقاع القصة الرخي المسترسل [1] .

1) ينظر : سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص 151 – 152 .

وعليه تكون الفاصلة القرآنية موافقة للوقع الموسيقي وللمعنى المتمم للآية ، تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة ولانسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة . وقد جمع النسق القرآني بين مزايا النثر والشعر جميعا ؛ ذلك أنّه أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة ، وأخذ في الوقت ذاته من خصائص الشعر الموسيقى الداخلية ، فحيثما تلا الإنسان القرآن أحسّ بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه [1] .

02/ الكلمات وحروفها

ومن خصائص الأسلوب القصصي القرآني الدقة التامة في انتقاء الألفاظ وحسن اختيارها وصوغها في موضعها ؛ وهو ما يسمى «إصابة المعنى» وهو ما يوضح الأثر اللغوي في سياق القصة القرآنية ؛ من ذلك قوله تعالى في قصة سليمان مع ملكة سبأ : ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[سورة النمل ، الآية 33] .

وهذا وصف بديع لا نجد نظما أجود منه ، فهؤلاء القوم يُظهرون الخضوع والولاء للملكة كما نجده عنه قوله تعالى : لأنها أبلغ في الدلالة وأعظم في أثر النفس [2] .

ومن الخصائص التي يتميز بها أسلوب القصص القرآني أنه يؤثر في بعض قصصه ذكر كلمة أو اقتباس من لغة البيئة نفسها ؛ ليصور للقارئ البيئة والمجتمع وحتى العادات والأخلاق والتقاليد ، من ذلك قوله تعالى ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف ، الآية 25] ؛ فكلمة (سيدها) ليست من كلام العرب بل بلسان القبط ؛ ذلك أن القبط يسمون الزوج سيدا كذلك في قصة موسى

1) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ، ص 75 – 76 .

2) المرجع نفسه ، ص 70 – 71 .

عليه السلام من خلال قوله تعالى: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [سورة طه ، الآية 39] ؛ فكلمة (اليم) بالسريانية البحر أو النهر الكبير .

وفي قصة سليمان عليه السلام يقول تعالى :﴿فَلَما قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ [سورة سبأ ، الآية 14] فكلمة المنسأة العصا بلغة الحبشة [1] .

وهناك نوع من الألفاظ يرسم صورة الموضوع ولكن لا بجرسه الذي يلقيه في الأذن ، بل بظله الذي يلقيه في الخيال ، ذلك أن للألفاظ ظلالا خاصة يلحظها الحس البصير ، حينما ينتبه إليها ويستدعي صورة مدلولها الحسية مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية 175] ؛ فكلمة (انسلخ) ترسم الصورة العنيفة للتملص من هذه الآيات ولم يقل (خرج) أو (أعرض) لأنّ الانسلاخ حركة حسية قوية [2] .

وتتميز الكلمات في القصص القرآني بمميزات منها :

أ- جمال وقعها في السمع :

إما بألفاظ أطيافا وظلالا وأصداء في النفس ،كما أنّ لجرسها إيقاعا في الأذن ...
والكلمات في التعبير كالألوان في الرسوم والأنغام في الموسيقى مثال ذلك ما ورد في قصة زكريا من

1) ينظر ، محمود سيد حسن ، روائع الإعجاز في القصص القرآني ، ص 116 .

2) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 71 .

دعاء ، ودعاء إبراهيم وأصوات ألفاظه المتقطعة المتهدجة ، ودعاء نوح المجلجل المديد ، فهي كلّها في سموها وحرارتها كأنها أناشيد السماء .

ويرجع ذلك إلى دقّة القرآن في استخدامه للألفاظ وحسن اختيارها في مواقعها فقد جاء على لسان السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام على الرغم مما أوعدهم به فرعون من عقاب شديد ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية 126] ؛ فإنّ ما يشيره لفظ (أفرغ) وما يوحي به من لين ورفق وطمأنينة يحسها من هدأ جسمه بما يلقى عليه [1] .

ب– اتساقها الكامل مع المعنى :

– العلاقة بين الآية وفكرتها : حيث نلحظ الانسجام بين الفكرة التي تحملها الآية والخاتمة التي تنتهي بالفاصلة مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى :﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة المائدة الآية 116 –118] فعندما نقرأ هذه الآية قد نتساءل : لماذا لم تنته بقوله مثلا " وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم " ، مع أنّ السياق يوحي بالغفران ؟ ولكننا إذا أمعنا النظر وجدنا أنّ الذي استحق العذاب لا يغفر له إلاّ من كانت سلطته أعلى السلطات وعزته فوق كلّ عزة ومن كان كذلك وجب أن يكون متصفا بالحكمة وإذا جاءت الفاصلة بالعزة مقترنة بالحكمة فلأنّ

1) ينظر : سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص 155 .

القادر على العقاب عزيز دائما ، ولذلك نجد أنّ ربط الحكمة بالعزة تعبير رائع وتصوير جامع وبيان قاطع لخالق عزيز [1] .

– ألفاظ يظن بها الترادف وليست منه :

إنّ الواحد منّا قد يتوهم مماثلة كثير من الألفاظ لبعضها وإمكانية التعبير لهذه الألفاظ جملة مادامت مترادفة ، لكن القصص القرآني قد يتحرى الدقة التامة في صياغة الألفاظ المخصوصة [2] «ووضعها في الأماكن اللائقة بها فكأنها تؤمن بأنّ هذا المكان خلقت له تلك الكلمة بعينها ، وأنّ كلمة أخرى لا تستطيع توفيق المعنى الذي وفق به أختها ، فكل لفظة من إفراد القرآن وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء ، ولذالك لا نجد فيه ترادفا» [3] .

ودليله ما ورد في سورة يوسف عليه السلام بعد أن دُبرت المؤامرة من جانب إخوة يوسف وألقوه في غيابة الجب ، ذكر قوله تعالى : فأكله الذئب ، فإن قال قائل : كان الأجدر أن تستخدم لفظة (افترسه الذئب) بدلا من (أكله) لأنّ الافتراس يستعمل في فعل السباع ، إلاّ أنّ الافتراس معناه فعل السباع القتل دون الالتهام بالكلية ، وإخوة يوسف إنّما ادّعوا على الذئب أنّه أكله أكلا ، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه ، ذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إيّاهم بأثر باقٍ من يوسف عليه السلام . والافتراس لا يعطي تمام هذا المعنى ، وهكذا يتضح السرّ في استخدام لفظة أكله [4] .

1) ينظر ، المرجع السابق ، ص 155 – 156 .

2) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، لإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 73 .

3) سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص 156 .

4) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 43 .

– مشاكلة اللفظ للمعنى :

فالمعنى إن كان جزِلا كان اللفظ كذلك ، ومن أمثلته قوله تعالى في قصة عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران الآية 59] ؛ ولم يقل من (طين) كما أخبر به سبحانه في غير موضع ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾[سورة ص ، الآية 71] ، إنّما عدل عن الطين الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب لمعنى لطيف وذلك أنّه أدنى العنصرين وأكثفهما ، لما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الألوهية أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك ، فكان الإتيان بلفظ التراب أمس في المعنى من غيره من العناصر .

بهذا يكون القرآن على العموم والقصص فيه على الخصوص أعجز في اللغة بطريقة النظم وهيئة الوضع ... فكل كلمة منه ما دامت في موضعها فهي من بعض إعجازه ، ومن هنا ينساق بناء الكلام إلى القول في النوع الثالث [1] .

03/ الجمل وتركيبها :

عند النظر في القرآن الكريم إلى الجملة القصصية من جهة تركيبها ، نجد أنّه انتظم أسباب الإعجاز من الصوت في الحرف ، إلى الحرف في الكلمة ، إلى الكلمة في الجملة فمن هاهنا تعلق بعضه على بعض وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة ؛ هي صفة إعجازه في جملة التركيب [2] وهو ما أذهل العرب عن لأنفسهم من هيبة رائعة وروعة مخوفة حتى أحسوا بضعف

1) سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص 165 – 169 .

2) ينظر ، المرجع نفسه ، ص 169-170 .

الفطرة القوية ، وتخلف الملكة المستحكمة ، ورأى بلغائهم أنّ هذا التركيب جنس من الكلام غير ما هم فيه [1] .

فالموسيقى الكامنة في التركيب تختل لو تقدمت كلمة على أخرى ، وهذا ما نلحظه في قوله تعالى ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً ﴾[سورة مريم ، الآية 2 – 4] فلو قُدِّمت كلمة (منّي) على كلمة (العظم) فتكون : قال ربي إني وهن مني العظم لاختلّ التركيب أيضا ذلك أنّها تتوازن مع حرف التوكيد (إنّي) (قال ربي إني وهن العظم مني) وهذا من بديع الأسلوب القرآني في سياق قصصه [2] .

ويتجلى الإعجاز في بلاغة الجملة في القصة القرآنية من خلال :

أ– الإجمال : وله وجهاته الكثيرة في تركيب الجملة منها :

– أن يعرض من ألفاظ مختلفة مشتركة وقعت في التركيب ، كقوله تعالى في قصة موسى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [سورة القصص ، الآية 23] بمعنى الجماعة ، وفي قوله عن إبراهيم عليه السلام : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[سورة النحل ، الآية

1) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 77 .

2) ينظر ، المرجع نفسه ، ص 78 .

120] بمعنى الرجل الجامع للخير المقتدي به ، وفي قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [سورة يوسف الآية 45] بمعنى الزمان [1] .

– حذف في الكلام : كقوله تعالى في قصة قوم صالح ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾[سورة الإسراء ، الآية 59] أي آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها وليس المراد أنّ الناقة كانت مبصرة لا عمياء .

– من جهة عدم استعماله الآن كقوله تعالى في قصة صاحب الجنتين: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾[سورة الكهف الآية 42] ؛ أي نادما [2] .

ب– الكناية : لقد كان للقرآن الكريم في قصصه المثل الأعلى والمنزلة التي تعجز عنها أساليب الأدباء ، وإذا كان هذا شأنه فلا بدّ أن تتفق ألفاظه وأساليبه وصوره البيانية مع غاياته السامية .

ومن صور الكناية في القصة القرآنية والتي تؤدي الغرض أداءً أبلغ من التصريح «التوجيه ؛ وهو ما احتمل معنيين ويُؤتى به عند فطنة المخاطب ، كقوله تعالى في قصة ميلاد موسى عليه السلام ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ [سورة القصص ، الآية 12] فإنّ الضمير (له) يحتمل أن يكون لموسى أو يكون لفرعون ، وبهذا تخلصت أخت موسى من قولهم (أنك عرفته) ، فقالت : أردت (ناصحون للملك) » [3] .

1) ينظر : سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص 171 .

2) ينظر : المرجع نفسه ، ص 171 .

3) نفسه ، ص 176 .

ج- تكرير الفعل (آتينا) في قصص الأنبياء :

من الملاحظ في قصص الأنبياء عليهم السلام أن تشتمل هذه القصص على مظاهر الإنعام والمن من الله تعالى إلى جانب الثناء الرفيع ، ويتبيّن ذلك من خلال استعراض الجمل القرآنية وما فيها من تراكيب لغوية ، منها تكرير الفعل (آتينا) في مواضع عديدة من قصص الأنبياء :

* قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾[سورة الإسراء ، الآية 101] .

* وقال أيضا : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية 51].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النمل الآية 15].

* وقوله أيضا : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [سورة لقمان ، الآية 12] [1].

«تلك الجمل القرآنية التي تدخل في لإطار الأسلوب الخبري تشير إلى الزمن الماضي البعيد ويتكرر الفعل (آتينا) في كلّ جملة منها مسبوقا بقد المقرونة باللام الموطئة لجواب القسم والتي تفيد التحقيق ، وهو إيحاء برفيع مكانة هؤلاء الأنبياء والمرسلين ومالهم من قدر عظيم عند ربهم» [2] .

1) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 200 – 201 .

2) نفسه ، ص 201 .

ومن الأسلوب الإنشائي في قصص القرآن الكريم الجملة الطلبية المتضمنة للأمر والنهي والاستفهام وهي من أسس التركيب اللغوي .

أ- صيغة الأمر: من خلال الجملة الدعائية التي احتلت مكانا كبيرا في القصة القرآنية وجرت كثيرا على ألسنة الأنبياء والمرسلين وكثيرا ما تكون مسبوقة بالنداء الذي يصحبه حذف الأداة وهذا إشعار بالقرب الأكثر من الله تعالى مثاله في قوله عزّ وجلّ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾[سورة إبراهيم ، الآية 35] ، فالأصل (يارب) وإنما حذفت الأداة لما فيه من الثقة بالله والشعور بأنه أقرب إليه من كلّ شيء ، وليس بعيدا عنه.

ب- ومثال صيغة النهي في القصص القرآني ما ذكر في قصة نوح عليه السلام في قوله تعالى : ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آَمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة هود الآية 36] نهاه الله تعالى عن أن يحزن حزنا مستكينا [1] .

ج- أمّا صيغة الاستفهام كثيرا ما اتخذت من جانب أنبياء الله وسيلة للإقامة الحجة والإقناع ، وامتزجت بالنصيحة في كثير من الأحيان ، وهذا مثال على سبيل التمثيل لا الحصر ففي قصة إبراهيم عليه السلام جاء قوله تعالى :﴿وَإِذ قالَ إِبراهيمُ لِأَبيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصنامًا آلِهَةً إِنّي أَراكَ وَقَومَكَ في ضَلالٍ مُبينٍ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية 74] فهو استفهام بالهمزة غرضه الإنكار ؛ أي (أتجعلها آلهة لك لتعبدها) .

مما لا شك فيه أنّ القصة في القرآن جاءت خادمة لغرضه الأعظم ، ولم تنفي فنيتها — على الإطلاق — صدق وواقعيتها الأصلية التي استوحتها من قداسة القرآن وتنزيهه ، فالجمالية القرآنية هي علم الجمال القرآني وفنيّته التي تُعنى بالكشف عن ألوانه وأسراره وأساليب عبر

1) المرجع السابق ، ص 213 – 261 – 288 .

الموضوعات القرآنية المتعددة ، وبتعبير أدق ؛ فإنّ الجمالية أبرز الظواهر القرآنية بسبب ما استعملته من المواد العربية الأولى نحو : المفردة ، التركيب والصورة الأدبية ولكن في آفاق من الإعجاز الإلهي الدائم .

فالقصة القرآنية وسيلة بيانية من وسائل تبليغ القرآن المتعددة وهي مع ذلك فريدة في مقومات بنائها وفي خصائصها ، لكونها تصطبغ بطابع الإعجاز لأنّها جزء من القرآن .

الفصل الثاني

حروف المعاني

وتقنيات النص الفني

الفصل الثاني

حروف المعاني وتقنيات القص الفني

أولا : القيمة الوظيفية للحروف في العمل الفني القصصي

01/ حد الحرف .

أ- الحرف لغة .

ب- الحرف اصطلاحا.

02/ في حد تسميته حرفا .

03/ أقسام الحروف .

04/ في عدة الحروف (بنية الأدوات).

05/ وظيفة ودور حروف المعاني .

ثانيا : القيمة الجمالية للحروف في العمل الفني القصصي .

01/ الحدث .

02/ الشخصية .

03/ الحوار .

04/ الصراع .

05/ البيئة .

أ- الزمان .

ب- المكان .

أولا : القيمة الوظيفية للحروف في العمل الفني القصصي

دراسة حروف المعاني جانب بارز من جوانب النحو العربي ، انكب عليه النحاة العرب في الدرس والتفصيل ، لما لها من أهمية بالغة فهي «أكثر دورا ، ومعاني معظمها أشدّ غورا وتركيب أكثر الكلام عليها ورجوعه في فوائده إليها» [1] . من هنا سلّطت الدور على دورها وأهميتها في قيام أسس بناء القصة القرآنية .

01/ حد الحرف

أ– الحرف لغة :

نجد "الخليل بن أحمد الفراهيدي" يعرف الحرف قائلا : «الحرف : من حروف الهجاء وكل كلمة بنيت أداة عاربة في الكلام لتفرقة المعنى تسمى حرفا ، وإن كان بناؤها بحرفين أو أكثر مثل : حتى ، هل ، بل ، لعل ، وكل كلمة تقرأ على وجه من وجوه القرآن تسمى حرفا يقال : يقرأ هذا الحرف في حرف ابن مسعود * أي في قراءته» [2] .

وعرّف "الفيروز أبادي" الحرف بقوله : «الحرف من كل شيء طرفه وشفيره وحدّه ومن الجبل أعلاه» [3] .

وعليه فالحرف في اللغة هو طرف الشيء وحدّه وجانبه .

---

1) أحمد بن عبد النور المالقي ، رصف المباني في شرح حروف المعاني ، تحرير : أحمد محمد الخراز ، دار القلم ، دمشق ، (د ط) ، (د ت) ، ص 21 .

* هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي من أكابر الصحابة عقلا وفضلا وقربا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ينظر : الزركشي ، الترجمة في الأعلام ، مج 04 ، ص 137 .

2) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، مج 03 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، مادة (ح ر ف) ، (د ط) ، (د ت) ، ص 210 – 211 .

3) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مج 03 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، (د ط) ، (د ت) ، ص 126 .

ب- الحرف اصطلاحا :

إن الحرف قسم من أقسام الكلمة وذلك أنّ الكلمة تنقسم إلى ثلاثة أقسام : اسم ، فعل حرف ؛ الاسم يدل على الذات والفعل يدل على معنى مجرد منها ، والحرف هو الرابط بين الذات والمعنى [1] .

ويعرفه النحاة : «ما جاء بمعنى ، ليس باسم ولا فعل وما سواه من الحدود فاسد» [2] .

ويرى "محمد حسن الشريف" أنّ المرجع الذي يحدد تصنيف حروف المعاني هو الوظيفة فإذا تمّ تحديد وظيفتها أمكن وضع تعريف دقيق لها فحروف المعاني كل حرف أو شبه حرف له وظيفة نحوية أو صرفية ذات دلالة [3] ، إلا أنّ هذا التعريف يوسع إطار حروف المعاني بحيث تتجاوز مفهوم الأدوات ، كما يحل إشكال التداخل بين بعض حروف المباني وحروف المعاني وخاصة الحروف المفردة كالألف والهمزة والباء والتاء والسين ... إلخ ، والتي ترد في كثير من أحولها حروفا للمعاني وأحيانا حروفا للإعراب [4] .

وقد حُدّ الحرف بحدود كثيرة منها قول "السيرافي" الحرف : «يدل على معنى في غيره نعني به أن تصور معنى متوقف على خارج عنه ، ألا ترى أنك إذا قلت : ما معنى "مِن" فقيل لك : التبعيض وخليت هذا لم تفهم معنى "من"إلا بعد تقدم معرفتك بالجزء والكل لأن التبعيض

1) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مج 02 ، مادة (ح ر ف) ، ص 837 .

2) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ص 126 .

3) محمد حسن الشريف ، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط 01 ، 1996 م ، ص 07 .

4) المرجع نفسه ، ص 07 .

أخذ جزء من كله » [1] فالحرف :«كلمة لا تدل على معنى في نفسها ، وإنما تدل على معنى في غيرها – بعد وضعها في جملة – دلالة خالية من الزمن [2] .

وعليه فإنّ الحرف وحده لا يدل على شيء منها مادام منفردا فإن دخل جملة دلّ على معنى في غيره ، ولم يدل على زمن والحرف على ضربين : حرف مبني ، وحرف معنى .

أ- فحرف المبنى : ما كان من بنية الكلمة ، ولا شأن لنا فيه .

ب- وحرف المعنى : ما كان له معنى لا يظهر إلا إذا انتظم في الجملة : كحروف الجر والاستفهام وغيرها [3] .

وقد سميت بحروف المعاني لأنها توصل معاني الأفعال إلى الأسماء ، إذ لو لم يكن (من وإلى) في قولك : (خرجت من البصرة) لم يُفهم ابتداء خروجك وانتهاؤه وهذه الحروف قسيمة الأسماء والأفعال ، أي تجيء مع الأسماء والأفعال لمعانٍ وتكون عوضا عن جمل وتفيد معناها بأوجز لفظ ، وكلّ حروف المعاني تفيد فائدتها المعنوية مع الإيجاز والاختصار فحروف العطف جيء بها عوضا عن أعطف .

- وحروف الاستفهام جيء بها عن استفهم .
- وحروف النفي إنما جيء بها عوضا عن أجحد أو أنفي .
- وحروف الاستثناء جاءت عوضا عن أستثني أو أقصد .

---

1) الحسن بن قاسم المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني ، تحرير فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 1992 م ، ص 23 .

2) عباس حسن ، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، ج 01 ، دار المعارف ، مصر ، ط 3 ، (د ت) ص 68 .

3) مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية، مج 03 ، تح وتص ومر : إسماعيل العقباوي ، دار ، القاهرة ، ط 01 ، (د ت) ص 201 .

-وحروف تنوب عن الأفعال التي بمعناها ، فالباء نابت عن ألصق مثلا ، والكاف نابت عن أشبه ، وكذلك سائر حروف المعاني [1] .

02/ في حد تسميته حرفا

اختلف النحويون في حد تسميته حرفا :

أ- فقيل سمي بذلك لأنه طرف في الكلام وفضلة والحرف في اللغة هو الطرف ، ومنه قولهم : حرف الجبل ؛ أي طرفه.

ب- وقيل : لأنه يأتي على وجه واحد ، والحرف في اللغة هو الوجه الواحد ، ومنه قوله تعالى : ﴿وِمنَ النَاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [سورة الحج ، الآية 11] أي على وجه واحد ؛ وهو أن يعبد على السراء دون الضراء فالأصل في الحرف أن يوضع لمعنى واحد وقد يتوسع فيه فيستعمل في غيره [2] .

ج- وذكر "الزجاجي" سبب تسمية الحرف حرفا فقال : «وسمي الحرف حرفا لأنه حدّ ما بين الاسم والفعل ، ورباط لهما والحرف حدّ الشيء ، فكأنه لوصله بين هذين كالحروف التي تلي ما هو متصل بها» [3] .

والظاهر أنه إنما سمي حرفا لأنه طرف في الكلام وإلى ذلك ترجع معاني الحروف كلها كقوله للناقة الضامرة الصلبة : حرفًا تشبيهًا لها بحرف السيف ، وقيل هي الضخمة تشبيها لها

1) ينظر : محمود سعيد ، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه ، (د ط) ، (د ت) ، ص 12 .

2) ينظر : الحسن بن قاسم المرادي ، الجني الداني في حروف المعاني ، ص 23 – 24 .

3) الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو للزجاجي ، تحرير : مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ، (د ط) ، (د ت) ، ص 44 .

بحرف الجبل ، وكان "الأصمعي" يقول : الحرف : الناقة المهزولة [1] .

03/ أقسام الحروف

أورد النحاة تقسيمات عديدة لحروف المعاني حينا باعتبار بنيتها وحينا باعتبار عملها وحينا باعتبار وظيفتها الإجمالية وأحيانا أخرى باعتبار وظيفتها التفضيلية وتنقسم حروف المعاني باعتبار عملها إلى قسمين : عامل وغير عامل ، أو بمصطلح آخر مُعمل ومُهمل ، فالمُعمل هو الحرف المختص كحرف الجر ، وحرف الجزم ، والمهمل غير المختص كحرف الاستفهام وحرف العطف [2] .

- العامل ما أثر فيها دخل عليه رفعا أو نصبا أو جرا وجزما .

- غير العامل بخلافه ويسمى مهمل [3] .

أ- الحرف العامل ما يحدث إعرابا (أي تغيرا) في آخر غيره من الكلمات والحروف العاملة هي حروف الجر ونواصب المضارع والأحرف التي تجزم فعلا واحدا ، وإن وإذما (اللتان تجزمان فعلين) والأحرف المشبهة بالفعل (التي تنصب الاسم وترفع الخبر ، واللا النافية للجنس(فتنصب الاسم وترفع الخبر) ، وما ولا ولات وإن (المشبهات بليس بالعمل فترفع الاسم وتنصب الخبر) .

1) ينظر : الحسن بن قاسم المرادي ، الجني الداني في حروف المعاني ، ص 25 .

2) أبو البركات الأنباري ، أسرار العربية ، تحرير محمد بهجة البطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، (د ط) ، (د ت) ، ص 12.

3) ينظر : الحسن بن قاسم المرادي ، الجني الداني في حروف المعاني ، ص 27 .

ب- والحرف العاطل (غير العامل) : ما لا يحدث إعرابا في آخر غيره من الكلمات كـ:هل و هلاّ ونعم ولولا [1] .

04/ في عدة الحروف (بنية الأدوات)

ذكر بعض النحويين أنّ جملة حروف المعاني ثلاثة وسبعون حرفا وزاد غيرهم على ذلك حروفا أخر مختلفا في حرفية أكثرها وذكر بعضهم نيفا وتسعين حرفا [2] «وهي إما أحادية أو ثنائية أو ثلاثية كبعض حروف الجر (الباء في إلى ...) ، وإما رباعية ؛ مثل لعل ولا تزيد على خمسة مثل : لكن في الرأي الأصح الذي يعتبرها غير مركبة وأنها مشددة النون ثابتة الألف بعد اللام نطقا» [3] .

وقد بدأ "الرماني" كتابه "معاني الحروف بالحروف الأحادية وهي : الهمزة ، الباء ، التاء السين ، الفاء ، الكاف ، اللام ، الواو ، ثم الحروف الثنائية : وقد أوردها على النسق التالي : ال ، أم ، أن ، إن ، أو ، أي ، لا ، ما ، وا ، ها ، بل ، عن ، في من ، قد ، كي ، لن لو ، هل ، مذ ، فالحروف الثلاثية : منذ ، نعم ، بلى ، ثمّ ، جير ، خلا ، ربّ ، على سوف ، إنّ ، أنّ ، ليت ، ألا ، إلى ، إذا ، أيا ، ثمّ ساق الكلام عن الرباعية : حاش ، حتّى كأنّ كلاّ لولا ، لوما ، لعلّ ، ألاّ ، أمّا ، إمّا ، هلاّ ، لما ، لكنّ [4] .

1) مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، ص 101 .

2) ينظر : الحسن بن قاسم المرادي ، الجني الداني في حروف المعاني ، ص 28 .

3) عباس حسن ، النحو الوافي ، ص 71 .

4) ينظر : أبو الحسن الرماني ، معاني الحروف ، تحرير وتركيب ك عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار الشروق ، جدة ، ط 02 ، 1981 م ص 27 .

05/ وظيفة ودور حروف المعاني

تتوزع الحروف والأدوات على وظائف شتى ، وفي ذلك يرى "الجرجاني" بأن النظم ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض والكلم ثلاث : اسم وفعل وحرف وللتعليق فيما بينها طرق معلومة ، وهو لا يعد وثلاثة أقسام تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بهما وعن تعلق الحرف بهما فعلى ثلاثة أضرب :

أ- أن يتوسط الحرف بين الفعل والاسم مثل حروف الجر التي تعدي الأفعال إلى الأسماء مثل : كتبت بالقلم على الورق .

ب- أن يدخل الحرف اللفظ الثاني في عمل العامل الأول مثل : قام أحمد وحافظ .

ج- أن يتعلق الحرف بمجموع التركيب لما يدخل عليه [1] مثل تعلق حرف النهي في قولك : لن ينال العلا الكسول ، والاستفهام : هل تقوم الليل ؟ ، والشرط والجزاء : من يعمل خيرا يجزى به .

«ويحصل من هذا الكلام وغيره أنّ للأدوات ميزتين : التعلق والاختصاص وذلك باعتماد ناحيتين هامتين ، المبنى والمعنى وتتلخص أشهر المعاني التي تؤديها هذه الحروف فيما يأتي :

- الأمر : لام الناهية .

- النهي : لا .

- الاستفهام : الهمزة وهل .

- القسم : الوا ، الباء ، التاء ، اللام

1) ينظر : الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح : محمد التنجي ، دار الكتاب العربي (د ب ن) ، ط02 ، 1997 م ، ص 13 -14 .

- النفي : لم ، لما ، لا ، لن ، ما ، إن ، لات .

- الشرط : إن ، إذما ، لو ، لولا ، لما .

- العطف : الواو ، الفاء ، ثمّ ، أو ، بل ، حتى ، لكن .

- النداء ، يا ، أيا ، هيا ، أي ، الهمزة .

- الاستثناء : إلاّ ، هلا ، عدا ، حاشى ، غير ، سوى ، ليس .

- المصدرية ، أنّ ، أن ، ما ، لو ، كي .

- الجواب : نعم ، بلى ، أجل .

- التوكيد : إنّ ، أنّ ، قد ، النون ، لام الابتداء .

- الاستقبال : السين ، سوف» [1] .

- التحضيض والعرض : هلا ، لولا ، ألا ، أما .

- الاستفتاح والتنبيه : ألا ، أما ، يا ، ها .

- التفسير : أن ، أي [2] .

- التمني : ليت ، لو ، هل .

- الترجي والإشفاق : لعل .

1) محمد خان ، مقال الأدوات النحوية ، بنيتها ووظيفتها ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة العدد الرابع ، جانفي 2009 م ، ص 09 .

2) المرجع نفسه ، ص 10 .

- التشبيه : الكاف ، كأنّ .

- التعليل : كي .

- حرف الردع والزجر : كلا [1] .

فهي تقوم بدور أساسي في الكلام ، ويمكن القول أن لها وظيفتين أساسيتين :

الأولى : وظيفة نحوية وهي تحقيق الترابط بين مكونات الجملة أو الكلام سواء أكانت عاملة أو غير عاملة .

الثانية : وظيفة دلالية معنوية : وهي المساهمة في تحديد دلالة السياق .

وفي المحصلة النهائية فإن وظائفها متكاملة ومتداخلة تنصهر في العناصر النحوية بالمكونات الدلالية [2] .

يتضح مما ذكر أنّ الأداة تؤدي وظيفة نحوية عامة ، وهذه الوظيفة تتضح بالتعبير عن المعنى العام للأساليب فيكون معنى الأداة هو معنى الجملة ، وتسمى الأداة باسم ما تؤديه من وظيفة خاصة ، فيقال فيها الجملة المنفية والجملة الاستفهامية ... إلخ [3] .

1) مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، ص 214 – 216 .

2) ينظر ، محمد حسن الشريف ، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم ، ص 08 .

3) ينظر : محمد خان ، مقال الأدوات النحوية وبنيتها ووظيفتها ، ص 10 .

ثانيا: القيمة الجمالية للحروف في العمل الفني القصصي

مما لا شك فيه أنّ لحروف المعاني الدور الأكبر في إدارة الكلام وإفادته لمعانيه بصفة عامة ومن ذلك أيضا القصص القرآني وسأتطرق في هذا المبحث لقيمة حروف المعاني من الناحية الوظيفية والدلالية ودورها في إثبات فنية القصة القرآنية (عناصرها) كوجه من أوجه الإعجاز القرآني فيها .

01/ الحدث

سنتطرق في هذا العنصر إلى أهمية حروف المعاني في إثبات فنية هذا المقوم من مقومات القصص القرآني كالآتي :

- ففي قصة إبراهيم – عليه السلام – مع قومه عبدة الأوثان نجد أن الزمن الماضي هو الذي يتحكم في سياق الآيات الكريمة وبالتالي تكرر الجمل الفعلية الماضوية كما يدل عليه سياق الأحداث الزمن ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء الآية 51] ، وهنا دخلت (قد) على الجملة الفعلية الماضوية زيادة في التحقيق و التوكيد ومعنى علمه به أنه علم منه أحوالا بديعة وأسرارا عجيبة وصفات قد رضيها و أحمدها حتى أهله لمخالاته و مخالصته ،فالخبر فيها يوحي بالمدح لإبراهيم الخليل و الثناء عليه لاحتوائه على محاسن الأوصاف [1] .

- ونلاحظ **اللام** المزحلقة :وهي لام الابتداء أصلا ، لكنها تزحلقت بعد إنّ المكسورة عن صدر الجملة إلى الخبر كراهية ابتداء الكلام بمؤكدين ، فسميت كذلك وهي حرف للتوكيد مبني على الفتح لا محل له من الإعراب وان حرف التوكيد كذلك وتدخل اللام المزحلقة

1) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 196 .

على ضمير الفصل ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 62] [1] .

– كما نجد **عن** للمجاوزة نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 155] والمعنى أن الله عز وجل قد تجاوز عن الذنوب والخطايا التي حصلت من المسلمين يوم أحد حينما خالفوا أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو تذكروا بعض الذنوب السالفة فأرادوا ألا يواجهوا العدو حتى يتخلصوا منها بالتوبة ، فلما كان ذلك موقفهم تجاوز الله تعالى عنهم لتوبته واعتذارهم (إن الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بالعقوبة [2] .

– وكذلك **لام** التعليل في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 35] ، قال "الألوسي" : «... واللام من (لك) للتعليل ، والمراد لخدمة بيتك والمحرر من لا يعمل للدنيا ولا يتزوج ويتفرغ لعمل الآخرة ويعبد الله تعالى ويكون في خدمة الكنيسة ...» [3] .

وقال تعالى : ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 49] واللام هنا

1) إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ، دار الهدى ، عين مليلة ،الجزائر ، (د ط) ، 2012 م ، ص 233 .

2) الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج 01 ، (د ب ن) ، (د ط) ، (د ت) ، ص 339 .

3) شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، ج 02 ، تح : السيد محمد السيد ، دار الحديث القاهرة ط 01 ، 1426 هـ ، ص 498 .

جاءت للتعليل أيضا وذلك ما نص عليه "أبو حيان" عند تفسيره لهذه الآية «واللام في لكم معناها التعليل » [1] .

فلام التعليل في كلا الآيتين بينت سبب وعلة النذر في الأولى والخلق في الثانية مساهمة بذلك في تصوير الحدث .

– وهناك **لام** الصيرورة : وتسمى لام العاقبة ولام المآل[2] وه ي التي تُبينُ عُقبى الفعل ومُنتهاه [3] ، نحو ﴿فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [سورة القصص ، الآية08] ، فلام الصيرورة هنا بنت تحول الأحداث وما آلت إليه .

– ونجد **من** لابتداء الغاية :في قوله تعالى ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 38] وقال "الألوسي" :«و (من) لابتداء الغاية مجازا أي أعطني من عندك » [4] .

وقوله أيضا :﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 49]

1)أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط في التفسير ، ج 03 ، دار الفكر ، بيروت ، (د ط) ، 1426 هـ ، ص 163 .

2) علي الجهني ، أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير – دراسة نظرية وتكبيقية على سورتي آل عمران والنساء –، رسالة ماجستير جامعة أم القرى ، السعودية ، إشراف :عبد الله سعاف اللحياني ، 2007 م ، ص 429 .

3) عبدالله حسن عبدالله ، حروف المعاني بين الأداء اللغوي والوظيفة النحوية ، رسالة دكتوراه في اللغة العربية ، إشراف : يوسف دادو جامعة جنوب إفريقيا ، 2012 م ، ص 62 .

4) شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، ج 02 ، ص 14 .

قال "أبو السعود" : (من ربكم) لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لآية أي قد جئتكم أو أتيتكم بآية عظيمة كانت منه تعالى [1] .

- وهناك **الفاء والواو** للعطف في قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[سورة الكهف ، الآية 19] حيث كان عطف هذه الجمل الثلاث بالفاء ولما انقطع نظام الترتيب عطف بالواو فقال : (وليتلطف) إذا لم يكن التلطف مترتبا على الإتيان بالطعام كما كان الإتيان منه مترتبا على التوجه في طلبه والتوجه في طلب مترتبا على قطع الجدال في المسألة عن مدة اللبث بتسليم العلم له سبحانه [2].

وكذلك نلاحظ دور الفاء العاطفة في ترتيب الأحداث وتواليها عندما اتبع القرآن ذلك بالجملة الشرطية وقال حكاية عن إبراهيم في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾[سورة الأنعام ، الآية 76 – 77] .حيث توالت الجمل الشرطية في الآيات الكريمة السابقة وقد جنّ عليه الليل أي ستره بظلمته ، ومنه الجنة والمجن كله من الستر والفاء للعطف ، وجواب كلما (رأى كوكبا) وقد قيل أنه رآه عن شق السخرة الموضوعة على رأس السرب) بفتحتين بيتا في الأرض لا منفذ له) الذي كان فيه ، وقيل رآه لما أخرجه أبوه من السرب وكان وقت غيبوبة الشمس ، وجملة (هذا ربي) مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قيل عند رؤية الكوكب؟ ويتضح التوكيد بالنون في صيغة القسم (لأكونن من القوم الضالين)

1) علي الجهني ، أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير ، ص 467 .

2) المرجع نفسه ، ص 600 .

وهناك جملة مثبتة مؤكدة على لسان إبراهيم ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[سورة الأنعام ، الآية 79] وهذا الخبر يدل على أنه قصد بعبادته وتوحيده لله عز وجل وأخلص له العبودية وذكر الوجه لأنه العضو الذي يعرف به الشخص أو لأنه يطلق على الشخص كله [1] .

وعرضت سورة الأعراف لموقف قوم صالح ، وأشار القرآن الكريم إلى إثمهم الذي ارتكبوه في نفس السياق لقوله : ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[سورة الأعراف ، الآية 77] والخبر في جملتين فعليتين للتهويل من عظيم جرمهم ولذلك أظهر القرآن عاقبة هذا الصنيع من جانبيه بقوله ، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾[سورة الأعراف ، الآية 78 – 79] تكرر حرف العطف (الفاء) الذي يفيد التعقيب والتوالي في مجرى الأحداث ، وحين يوجه صالح – عليه السلام – النداء إليهم يظهر لهم إخلاصه وأنه قد أدى الأمانة التي كلف بها ونفى القرآن عنهم قبول النصيحة في نهاية الآية بقوله : (ولكن لا تحبون الناصحين) فالجملة الماضوية منفية ومسبوقة بحرف الاستدراك لكن وقد أشار هنا إلى ما وقع عليهم من جزاء فحق عليهم العذاب ونزل بهم ما كذبوا به واستعجلوه [2].

– وتأتي **قد** : وهي حرف يدخل على الفعل الماضي والمضارع لتقريرِ معناه وتقويته ونفي أيّ شكٍ عنه [3] ويتضح دورها على سبيل التمثيل في سورة الأعراف عندما تحدثت عن قصة شعيب –

1) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 165 .

2) المرجع نفسه ، ص 169 – 170 .

3) عبدالله حسن عبدالله ، حروف المعاني بين الأداء اللغوي والوظيفة النحوية ، ص 116 .

عليه السلام – مع قومه : ... جملة ماضوية دخلت (قد) عليها فأفادت التحقيق والبينة وهي البرهان الساطع والحجة القوية ، ونقول إنّ الأنبياء – عليهم السلام – قد استخدموا وسائل مطابقة في دعوتهم تقوم على إظهار الحجة ودحض الشبهة بقصد الإقناع [1] .

– ونجد القسم المتضمن للتأكيد بالنون :﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية 88] والمراد بالملأ في هذه الآية الأشراف المستكبرون وهم لم يكتفوا بذلك عن ترك الإيمان والتمرد عن الإجابة إلى ما دعاهم إليه بل تجاوزوه بغيا وبطرا إلى توعد نبيهم ومن آمن به بالإخراج من قريتهم أو عودته هو ومن معه في ملتهم الكفرية [2] .

وجاءت صيغة القسم المتضمنة للفعلين المؤكدين للنون : لنخرجنّك ، لتعودنّ ، إظهارا للتصميم على أحد أمرين : الإخراج أو العودة في ملتهم ويأتي الخبر ليقرر أغراض الكفار وما يتخذونه من وسائل رادعة ضد أنبياء الله في قوله ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ واللام في قوله ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا ﴾ [سورة الأعراف ، الآية 90] موطئّة لجوانب قسم محذوف أي دخلتم في دينه وتركتم دينكم وجواب القسم الجملة الاسمية المؤكدة بإن [3] ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾[سورة الأعراف ، الآية 90] ، وقد كان لها دور فعال وهام في بيان نيّة المتكلم وعزمه وإصراره وتأكيده على ما يصبو إليه .

1) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 171 – 172 .

2) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 03 ، تح : سيد محمد ورفاقه ، دار عالم الكتب ، لرياض ، ط 01 ، 1425 هـ ، ص 444.

3) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 172 .

- وهناك **لا الناهية** وهى التي تدخل على الفعل المضارع فتجزمه [1] مثاله في قصة نوح - عليه السلام – في قوله تعالى : ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آَمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة هود ، الآية 36] نهي الله تعالى نبيّه على أن يحزن حزنا مستكينا لأنّ الابتئاس حزن واستكانة ، ثم أمر الله نوحا – عليه السلام – أن يصنع السفينة بحراسته وعناية الإلهية وقال له ناهيا : (...) أي لا تطلب إمهالهم فقد حان وقت الانتقام منهم وجملة (إنهم مغرقون) للتعليل أي لا تطلب منا إمهالهم فإنه محكوم عليهم منا بالغرق وقد مضى به القضاء فلا سبيل إلى دفعه وتأخيره .

وبذلك كانت اللام الناهية من أهمّ محركات الأحداث الدالة على انعطافاته مع التعليل والتبرير الواضح في جوابها .

وقال في سورة هود : ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾[سورة هود ، الآية 42] (يا بني) أصله بثلاث ياءات الأولى ياء التصغير والثانية لام الكلمة والثالثة ياء المتكلم ، فحذفت ياء المتكلم تخفيفا وأدغمت ياء التصغير في لام الكلمة فيقرأ بكسر الياء وفتحها ، وقد نهاه نوح عن الكون مع الكافرين خارج السفينة ويمكن أن يكون الكون معهم معناه الكون على دينهم ، فقد كان هذا النهي في الآية بمعنى النصح والإرشاد [2] محاولا بذلك تحويل مجرى الأحداث حسب ما يحب ويرضى .

1) عبدالله حسن عبدالله ، حروف المعاني بين الأداء اللغوي والوظيفة النحوية ، ص 120 .

2) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 288 .

وذكر في سورة مريم عن إبراهيم – عليه السلام – :﴿ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً ﴾[سورة مريم ، الآية 44] المراد بالنهي النصح والإرشاد أي لا تطعه في عبادتك هذه الأصنام فإن الشيطان هو الداعي إلى ذلك والراضي به [1] .

وفي قصة موسى – عليه السلام – : ذكر في سورة طه قوله تعالى ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾[سورة طه ، الآية 16] هو في الحقيقة نهيا لسيدنا موسى – عليه السلام – عن الانسداد أو إظهار اللين للكافرين ، والمراد لايصرفنك عن الإيمان بالساعة والتصديق بها من لا يؤمن بها من الكفرة [2] .

قال تعالى : ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [سورة طه ، الآية 46] جملة مستأنفة جواب سؤال مقدر وهو كثير في قصص القرآن : هذا نهي لموسى وأخيه هارون – عليهما السلام – عن الخوف الذي حصل معهما من فرعون ثم علل ذلك (إنني معكما أسمع وأرى) فالله تعالى لا تخفى عليه خافية وكأنه أراد أن يبث روح الطمأنينة في نفسيهما [3] ، ولقد كان دور (لا الناهية) فيما عُرِض فعالا في توجيه مسار الأحداث أو الحدث على انعطافها وتغير مجراها .

1) المرجع السابق ، ص 290 .

2) المرجع نفسه ، ص 294 .

3) نفسه ، ص 297 .

02/ الشخصية

هناك الكثير من حروف المعاني عبرت عن الشخصية كعنصر من عناصر البناء الفني للقصص القرآني ومنها :

- نجد **على** للاستعلاء أي يكون ما قبلها مُستعلياً على ما بعدها ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 42] قال الشوكاني : «قيل : هذا الاصطفاء الآخر غير الاصطفاء الأول فالأول : حيث تقبلها بقبول حسن ، والآخر : لولادة عيسى والمراد بالعالمين هنا قيل : نساء عالم زمانها وهو الحق ، وقيل : نساء جميع العالم إلى يوم القيامة ، فاختاره الزجاج وقيل : الاصطفاء الآخر تأكيد للاصطفاء الأول ، والمراد بهما جميعا واحد» [1] ، ومريم – عليها السلام – قد استعلت بهذا الاصطفاء على نساء العالمين ، ومن دلالة التعبير القرآني بحرف الجر (على) تأكيد استعلاء مريم – عليها السلام – فاصطفى يتعد بـ(من) نحوه (اصطفيتك من الناس) لكن لما كان لـ (على) من الدلالة التي ذكرت من الاستعلاء جاء السياق القرآني ليشير لهذا المعنى ، وأيضا قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 33] فالفعل (اصطفى) ضمن معنى فضّل لأجل هذا عدي بحرف الجر (على) بدل (من) توضيح لمعنى استعلائهم على عالم زمانهم .

وكذلك ورد في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾[سورة آل عمران الآية 58] والمعنى كما قال "ابن الجوزي" : «قوله تعالى : (ذلك نتلوه عليك) يعني ما جرى من

1) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ج 01 ، تح : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر بيروت ، (د ط) ، 1992 م ، ص 510 .

القصص (من الآيات) يعني الدلالات على صحة رسالتك إذا كانت أخبارا لا يعلمها أميا (والذكر الحكيم) قال "ابن عباس" هو القرآن ، قال "الزجاج" : معناه ذو الحكمة في تأليفه ونظمه وإبانة الفوائد منه» [1] ، ودلالة الاستعلاء الذي تضمنه حرف الجر (على) أنّ هذه القصص التي ذكرها الله عز وجل لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – فيها من الاستعلاء والبيان والإيضاح للحق الذي سأل عنه المجادلون من أهل الكتاب وغيرهم ، ما يؤمن معه أهل العقول التي تطلب الحق وتنشره ومن جهة النبي – صلى الله عليه وسلم – فإن الاستعلاء الذي تضمنه هذا الحرف يعود على موقف صاحب الرسالة – صلى الله عليه وسلم – بما يقوي موقفه أمام الجاحدين والمنكرين .

وقوله أيضا: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 170] وذكر الله سبحانه وتعالى قبل هذه الآية أحوال الشهداء فقال : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية 169 -170] والمعنى أنّ هؤلاء الشهداء لهم من الكرامات ما ذكر الله تعالى في هذه الآية ومنها أن الخوف لا يستعليهم ولا هم يحزنون [2] فهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا من خلفهم من المؤمنين ، وعليه يكون حرف (على) بمعنى الاستعلاء لأنّه بيّن علو وسمو ورفعة المكانة والأهميّة التي تميّزت بها الشخصيات المذكورة .

1) أبو الفرج ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، ج 01 ، تح : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 02 ، 1422هـ ص 350 .

2) علي الجهني ، أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير ، ص 241 .

- وتأتي **في** بمعنى للمصاحبة أي المعية [1] ونستشف هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 101] والمعنى كما يقول "الزمخشري" :«((فكيف تكفرون) معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجب ، والمعنى من أين يتطرق إليكم الكفر ؟ والحال أنّ آيات الله وهي القرآن المعجز (تتلى عليكم) على لسان الرسول غضة طرية وبين أظهركم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم » [2] .

ويقول "ابن عاشور" في التحرير والتنوير : «والظرفية في قوله (وفيكم رسوله) حقيقة ومؤذنة بمنقبة عظيمة ، ومنة جليلة وهي وجود هذا ا لرسول العظيم بينهم تلك المزية التي فاز بها أصحابه المخاطبون» [3] فحرف (في) بما تضمنه بدلالة المصاحبة بيّن شرف وفضيلة ومزية صحبة النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذه الآية .

- ونقف عند **الكاف** التي كانت للتشبيه أي تشبيه شيء بآخر بواسطة الكاف: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 11] أي كسنة آل فرعون وعادتهم والدأب العادة والشأن ، وأصله من دأب في الشيء دأبا ودءوبا إذا اجتهد فيه وبالغ أي حال هؤلاء في الكفر واستحقاق العذاب كحال آل فرعون فالجار والمجرور خبر لمبتدأ محذوف [4] ، وهنا يتجلى دور الكاف في اختصار وصف حال هؤلاء القوم ودقّته في الوقت ذاته عند الإحالة إلى آل فرعون وما أصابهم من غضب الله وعذابه فكانت الكاف بمثابة

1) ابن هشام الأنصاري ، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج 1 ، تح : عبد اللطيف محمد الخطيب ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ، ط 01 ، 2000م ، ص 63 .

2) "الزمخشري" ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج 01 ، ص422 .

3) محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 03 ، دار سحنون للنشر ، تونس ، (د ط) ، (د ت) ، ص 172 .

4) شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، ج 02 ، ص 437 .

الضوء الذي سلّط على الحادثة المحفورة في ذاكرة التاريخ وأهله لوصف هؤلاء بأدقّ وأوضح الملامح والمعالم الشخصية .

وتأتي الكاف زائدة للتوكيد وتدخل على ثلاثة أشياء[1] منها :

- اسم تشبيه نحو "مثل" كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 59] والمعنى كما قال الطبري :«إن شبه عيسى في خلق إياهم من غير فحل فأخبر به ، يا محمد الوفد من نصارى نجران عندي كشبه آدم الذي خلقته من تراب [2] . وبهذا كان للكاف دور كبير في وصف خلقة عيسى – عليه السلام – كجانب من جوانب شخصيته الكريمة – عليه السلام – .

- ونجد **اللام** بمعنى الاختصاص والتي كان لها دور كبير في بيان جانب من جوانب شخصية مريم – عليها السلام – وما اختصه الله بها من كرامات وهو ما يتضح في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 37] والمعنى «أي من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا والأبواب مغلقة دونك» [3] .

فلام الاختصاص هنا بيّنت أنّ هذا الرزق (كرامة) خاص بشخصية مريم – عليها السلام – وبالتالي تميّزت عن غيرها من النساء .

---

1) أحمد بن عبد النور المالقي ، رصف المباني في شرح حروف المعاني ، ص 223

2) أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 06 ، تح : محمود محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط 01 ، 2000م ، ص 467 .

3) شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، ج 03 ، تح : السيد محمد السيد ، دار الحديث القاهرة ط 01 ، 1426 هـ ، ص 08 .

وكذلك قوله تعالى : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾[سورة آل عمران ، الآية : 38] قال "أبو السعود" :«كِلا الجارّين متعلق بهبْ لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ...» [1] .

وكذلك في قوله تعالى نجد لام الاختصاص التي توضح تميّز شخصية زكريا –عليه السلام– وتفردها عن غيره من الرسل والخلق :﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : 40] يعني من بلغ من السن ما بلغت لم يولد له [2] فاللام هنا بيّنت اختصاص زكريا – عليه السلام – بهذه الصفة دون سائر خلقه .

ونجدها في قوله تعالى :﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 84] والمعنى : فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبي أرسل ، وبكل كتاب أنزل ولا يكفرون بشيء من ذلك بل هم مصدقون بما أنزل من عند الله ، وبكل نبي يبعثه الله [3] . فلام الاختصاص هنا سلطت الضوء عن هته الصفة التي يتميز بها مؤمنو هذه الأمة .

وعبرت أيضا لام الاختصاص في قوله تعالى :﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 128] كما قال "الزمخشري" : والمعنى أنّ الله مالكُ أمرَهم فإما يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا ، أو يعذبهم إن أصروا على الكفر ، وليس لك من

1) عبد الرحمان السعدي ، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، ج 01 ، تح : عبد الرمان بن معلا اللويحق ، دار السلام للنشر والتوزيع ط 02 ، 2002 م ، ص 383 .

2) أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 06 ، ص 381 .

3) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 02 ، تح : سيد محمد ورفاقه ، دار عالم الكتب ، لرياض ، ط 01 ، 1425 هـ ، ص 70 .

أمرهم شيئا ، إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم [1] . ومن أثر دلالة حرف (اللام) هنا نفي اختصاص أمر هؤلاء القوم بالنبي – صلى الله عليه وسلم – والمعنى أنّ الله مالك أمرهم كله إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم [2] .

– وتأتي **من** : للتبعيض أي لدلالة الجزء من الكل[3] ، وهذا ما نجده في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 45] والمعنى كما قال "الألوسي" : «أي عند الله يوم القيامة قاله قتادة وقيل هو إشارة إلى رفعه إلى السماء وصحبته الملائكة وقيل : من المقربين من الناس بالقبول والإجابة وهو معطوف على (وجيها) أي ومقربا من جملة المقربين» [4] . فمن هنا بيّنت مكانة وحالة سيدنا عيسى – عليه السلام – وهو إزالة الستار عن جوانب مهمة من شخصه الكريم – عليه السلام – وذلك ما نلاحظه أيضا في قوله تعالى : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 46] والمعنى كما قال "الشوكاني" : «أي هو من العباد الصالحين» [5] .

وبناءً عليه فإنّ (من) جاءت بمعنى التبعيض وقد وصفت سيدنا عيسى –عليه السلام– بأنّه مقرب وصالح كما ذكر في الآيتين السابقتين .

1) "الزمخشري" ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج 01 ، ص 440 .

2) علي الجهني ، أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير ، ص 404 .

3) أحمد بن عبد النور المالقي ، رصف المباني في شرح حروف المعاني ، ص 323

4) شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، ج 03 ، ص 41.

5) علي الجهني ، أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير ، ص 492 .

وكذلك يتضح دور (من) في قوله تعالى : ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 95] والمعنى كما قال "الرازي" :«أي لم يدع مع الله إله آخرا ولا عبدا سواه ،كما فعله بعضهم من عبادة الشمس والقمر ، أو كما فعله العرب من عبادة الأوثان ، أو كما فعله اليهود من ادعاء أن عزير ابن الله ، وكما فعله النصارى من ادعاء أنّ المسيح بن الله » [1] . فدلالة التبعيض للحرف (من) هنا نفت كل الصفات ونزهت سيدنا إبراهيم منها .

- كما أن **لقد** جاءت للتحقيق ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية 51] دخلت (قد) على الجملة الفعلية الماضوية زيادة في التحقيق والتوكيد ومعنى علمه به أنه علم منه أحوالا بديعية وأسرار عجيبة وصفات قد رضيها وأحمدها حتى أهله لمخالاته ومخالصته فالخبر في الجملة يوحي بالمدح لإبراهيم الخليل والثناء عليه لاحتوائه على محاسن الأوصاف [2] .وقد أكّد حرف التحقيق لقد هنا كل هاته الصفات الحميدة فيه عليه الصلاة والسلام .

ونجدها أيضا للقسم والتحقيق في قوله عز وجلّ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النمل ، الآية 15] ، وقوله أيضا: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [سورة لقمان ، الآية 12] وفي قوله أيضا : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا داوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ ﴾[سورة سبأ ، الآية 10] هي جمل قرآنية تدخل في إطار الأسلوب الخبري تشير إلى الزمن الماضي البعيد ويتكرر

1) فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ،ج 04 ، دار الفكر ، بيروت ، ط 01 ، 1425 هـ ، ص 304 .

2) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 196 .

الفعل (آتينا) في كل جملة منها مسبوقا بقد المقرونة باللام الموطئة لجواب القسم والتي تفيد التحقيق وهو إيحاء برفيع مكانة هؤلاء الأنبياء والمرسلين وما لهم من قدر عظيم عند ربهم

وبناء عليه تكون حروف المعاني سواء من الناحية الوظيفية أو الدلالية قد ساهمت بدور كبير في التأكيد على خصائص الشخصية أو الإيحاء بها أو الترجمة عنها أو نفي صفات عنها كل ذلك يصب في بوتقة إثبات فنية القصة القرآنية من حروفها قبل عناصرها الأساسية .

ثالثا: الحوار :

وقد كان لحروف المعاني دور كبير في إدارة الحوار وقيامه على أكمل وجه في القصص القرآني بصفة عامة ومن أمثلة ذلك ما يلي :

01/ نجد **الهمزة** وهي أصل أدوات الاستفهام وقد جاءت بغرض الإنكار في الآية الكريمة : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة الأنعام الآية 74] أي أتجعلها آلهة لك تعبدها ، ومحل إذ قال النصب على تقرير واذكر إذ قال إبراهيم فالهمزة إضافة إلى الدور الوظيفي الذي أدته إلا أنّها حملت دلالة الإنكار كوسيلة من وسائل الإقناع وتوضيح الحقائق في هذا الحوار .

وكذلك جاءت الهمزة في قوله تعالى : ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[سورة الأنعام ، الآية 80] أي خاصمون فأنكر عليهم ذلك ، والاستفهام هنا للتوبيخ والتقريع ، والمراد أتخاصمونني وتجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو وقد بصرني وهداني إلى الحق وأنا على بيّنة منه ، فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة وقد زجرهم نبيّ الله إبراهيم في نفس الآية بقوله ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ

قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[سورة الأنعام ، الآية80] [1] ، والمراد كيف أخاف ما لا يضر ولا ينفع ولا يخلق ولا يرزق، والحال أنكم لا تخافون ما صدر منكم من الشرك أو ردّ عليهم هذا الكلام الإلزامي الذي لا يجدون عنه مخلصا ولا متحولا ، والاستفهام أيضا للإنكار عليهم والتقريع لهم والمراد بالفريقين فريق المؤمنين وفريق المشركين [2] .

وفي قصة نوح – عليه السلام – : جرى الاستفهام على لسانه في قوله تعالى :﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية 63] فتحت الواو في (أوعجبتم) لكونها عاطفة ودخلت عليها همزة الاستفهام للإنكار عليهم والمعطوف عليه مقدر كأنه قيل: استبعدتم وعجبتم أو كذبتم أو أنكرتم وعجبتم ، وقد أراد نوح – عليه السلام – بهذا الاستفهام أن ينهاهم عن تعجبهم بأن يوحي الله إلى رجل منهم رحمة بهم ولطفا وإحسانا إليهم ليتقوا الله ولا يشركوا به شيئا [3] وقد كان له دور مهم في قيام هذا الحوار على ما هو عليه من الدقّة والتأثير والبرهان .

وورد الاستفهام الإنكاري التعجبي على لسان هود – عليه السلام – في أعقاب قصة نوح – عليه السلام – في قوله تعالى :﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [سورة هود ، الآية 69] والرسل الذين يتصفون بالبلاغة والنصح والأمانة ينبغي أن يكونوا كذلك مع أقوامهم نراهم يستندون إلى الحجج العقلية والبراهين المنطقية من أجل أن تثمر جهودهم في دعوتهم إلى الله وقد ردّ عليه قومه في صيغة الاستفهام الذي طبع للحوار بطابع

1) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 03 ، ص 287 .

2) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 261 – 262 .

3) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 267 .

السخرية والاستهزاء كما حكاه القرآن في قوله:﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : 70] ، وهذا دليل واضح على تمردهم وطغيانهم وعنادهم وإنكارهم على هود – عليه السلام – ، وإنما كان هذا مستنكرا عندهم لأنهم وجدوا آباءهم على خلاف ما دعاهم إليه [1] .

و الهمزة كذلك يستفهم بها عن المفرد وعن الجملة وفي الإثبات والنفي [2] ، ونجدها في قوله تعالى في صورة التوبيخ للنصارى :﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ [سورة المائدة ، الآية 116] ، فالمسألة هنا على وجه التوبيخ للذين ادعوا عليه لأنهم يجمعون أنه صادق الخبر ، وأنه لا يكذبهم وهو الصادق عندهم فذلك أبلغ في توبيخهم وأوكدوا في الحجة عليهم والتوبيخ ضرب من العقوبة [3] ، وعليه فإن للاستفهام دور أساس في قيام الحوار كأحد أسس بناء القصة القرآنية واتضح من خلال تنوع أغراضه والتي تفاوتت فيما بينها تبعا لمضمون الجملة واتصالها بمجرى الأحداث وتخرج إلى غرض آخر غير الاستفهام كالتعجب والإنكار والتوبيخ والتحقير وغير ذلك مما لوحظ عند العرب للحوار القصصي بين رسل الله عليهم الصلاة والسلام وأقوامهم [4] .

ويأتي قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة المائدة ، الآية 31] فوجدت في قصة ابني آدم على لسان قابيل بعد قتله لأخيه هابيل ، والاستفهام في الآية للتعجب والتندم وقوله (فأواري) ذكر بالنصب على جواب الاستفهام

1) المرجع السابق ، ص 270 .

2) مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، ص 212 .

3) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 259 .

4) المرجع نفسه ، ص 260 .

وكلمة (ياويلتي) التي سبقت همزة الاستفهام كلمة تحسر وتحزن ، فالكلام خارج مخرج التعجب من عدم اهتدائه لمواراة أخيه كما اهتدى الغراب إلى ذلك ، وإنما ندم على فقده ولم يكن ندم توبة [1].

ودخلت همزة الاستفهام على الاسم بعد النداء في قوله تعالى عن قصة شعيب : ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾[سورة هود الآية 87] ، الاستفهام (أصلاتك تأمرك) للسخرية والاستهزاء ، وأرادوا أن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لا وجه لصحته [2] .

وفي قصة سليمان – عليه السلام – في سورة النمل كما حكاه القرآن في قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ [سورة النمل الآية 36] جملة مستأنفة جواب سؤال مقدر والاستفهام المبدوء بالهمزة للاستنكار أي قال سليمان منكرا لإمدادهم له بالمال مع علو سلطانه وكثرة ماله [3] .

وفي قصة موسى – عليه السلام – مع فرعون ذكر في سورة يونس ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [سورة يونس ، الآية 77] قيل في الكلام حذف والتقدير أتقولون للحق سحر فلا تقولوا ذلك ثم استأنف إنكارا آخر عن جهة نفسه في صيغة استفهام

1) المرجع السابق ، ص 260 .

2) عباس علي الأوسي ، الإحالة في القرآن الكريم ، ص 279 .

3) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 283 .

(أسحر هذا) وهي جملة مستأنفة من جهة موسى – عليه السلام – والاستفهام للتقريع والتوبيخ [1] .

ومن هنا فقد كان للهمزة من خلال الاستفهام بمختلف أغراضه الدور المحور والأساس في قيام الحوار وإدارته بين الأنبياء وأقوامهم في سبيل الدعوة إلى الله تعالى وبيان الحق ودحض الباطل .

02/ ويأتي الحرف **بل** في قوله تعالى :﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾[سورة الأنبياء ، الآية : 26] أي بل هم عباد ، وهي حرف ابتدائي مبني على السكون لا محل له من الإعراب إذا دخلت على جملة ولها هنا معنى الإضراب الإبطالي ، أي نفي الحكم السابق عليها وإثباته لما بعدها [2] .

فحرف (بل) هنا أبطل ما قبله بقوة تأثير لم تكن لتحصل بتفسير وحديث عيرها وبنفس القوة أكدت ما بعدها في ردّه سبحانه وتعالى على قول هؤلاء الضالين .

03/ كما نجد **لام التبليغ** : وهي الجارة لاسم السامع لقول أو ما في معناه ، نحو قلت له وأذنت له ، وقشرت له ، كما ذكر "ابن هشام" في المغني [3] ومن أمثلتها ما جاء في قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 12] وقوله كذلك : ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 20] والمعنى كما قال السعدي (من النصارى واليهود و (الأميين) مشركي العرب وغيرهم (أأسلمتم فإن أسلموا)

1) ينظر : عباس علي الأوسي ، الإحالة في القرآن الكريم ، ص 281 .

2) ينظر : إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ، ص 86 .

3) ينظر : ابن هشام الأنصاري ، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج 1 ، ص 80 .

أي بمثل ما آمنتم به (فقد اهتدوا كما اهتديتم وصاروا إخوانكم ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ... » [1] .

فاللام هنا تضمنت معنى بلّغ بأوجز الصيغ وأبلغها في سياق قرآني معجز .

وأيضا نجدها في قوله تعالى : ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 124] والمعنى كما قال "ابن عاشور" : «وظرف (إذ تقول للمؤمنين) زماني وهو متعلق بنصركم لأن الوعد بنصرة الملائكة والمؤمنين كان يوم بدر لا يوم أُحد ، هذا قول جمهور المفسرين ، وخص هذا الوقت بالذكر لأنه كان وقت ظهور هذه المعجزة ، وهذه النعمة فكان جديرا بالتذكير والامتنان ، والمعنى إذ تعد المؤمنين بإمداد الله بالملائكة فما كان قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لهم تلك المقالة إلا بوعد أوحاه الله إليه بأن يقوله» [2] .

من هنا نجد أنّ لام التبليغ قد لخصت هذه الرسالة وقصدها بإيجاز وبلاغة وإعجاز قرآني عجيب .

04/ ونقف عند **ليس** : وقد كان لها دور وظيفي ودلالي في الحوار الذي جرى بين نوح وقومه ففي قصته يبدو أسلوب السخرية والاستهزاء من جانب المشركين وهو ما دلت عليه الآية في قوله تعالى : ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (60) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف ، الآية 60 – 61] وكأن هناك سؤالا مقدرا تقديره : ماذا قال لهم ؟

1) علي الجهني ، أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير ، نقلا عن تفسير السعدي ، ص 130 .

2) محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج03 ، ص 203 .

فذكرت الجملة الفعلية في قوله تعالى : على سبيل الاستئناف فهي جملة اسئنافية وأفاد النفي بـ (ليس) في قوله تعالى تعليل الحكمة من إرساله وإبطال مزاعمهم التي يزعمونها [1] .

05/ وتأتي **إي** : وهي حرف جواب بمعنى (نعم) لتصديق الخبر ، وإعلام المستخبر وغالبا ما تستعمل مسبوقة بالاستفهام الحقيقي أو المجازي ويلزمهم قسم ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [سورة يونس ، الآية : 53] [2] .

فالحرف (إي) لم يقتصر على أداء الجواب فحسب بل حمل معنى تصديق ما أخبرت عنه باختصار بليغ وإيحاء مثير .

06/ وكذلك **أنّى** تكون بمعنى من أين [3] قال تعالى : ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[سورة آل عمران ، الآية 37] فالاستفهام للتعجب أي من أين يجيء لك هذا الرزق والذي لا يشبه أرزاق الدنيا [4] ، وفي نفس القصة ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 47] ،﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بَغِيًّا﴾[سورة مريم ، الآية 20] أي فتعجبت مريم من هذا وذكرت هذه الجملة الاستفهامية على لسانها وقالت : كيف

1) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 165 .

2) ينظر : عباس علي الأوسي ، الإحالة في القرآن الكريم ، دار ضفاف ، العراق ، ط 01 ، 2012 م ، ص 360 – 361 .

3) ينظر :محمد بن الخطيب الموزعي ، مصابيح المغاني في حروف المعاني ، ص 184 .

4) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 256 .

يكون لي غلام وعلى أي صفة يوجد هذا الغلام مني ، ولست بذات زوج ولا يتصور مني الفجور ولهذا قالت على سبيل التعليل للتعجب الاستفهامي : (وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بَغِيًّا) [1]

ومثله ما ذكر على لسان زكريا – عليه السلام – : ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 40] وفي ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنْ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ [سورة مريم ، الآية 08] : فهذا تعجب من زكريا – عليه السلام – حين أجيب إلى ما سأل وبُشر بالولد وفرح فرحا شديدا أو سأل عن كيفية ما يولد له والوجه الذي يأتيه منه الولد أنّ امرأته عاقر [2] .

وفي قصة عزير الذي أماته الله مئة عام ثم بعثه حين قال ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[سورة البقرة ، الآية 259] والاستفهام هنا فيه اعتراف بالعجز عن معرفة طريق الإحياء والاستعظام لقدرة المحي ، وأنى الاستفهامية تعني التعجب والتهويل في كثير من الأحيان [3] وهذا ما اتضح من الأمثلة القصصية المذكورة آنفا وإضافة إلى الدور الوظيفي الذي أدّته (أنّى) فقد أشارت إلى معنى الاستبعاد والاستحالة بعظم الأمر وارتقائه فوق المستوى البشري والقانون الإنساني الذي لا يدرك كنه الأمور الغيبية ويتعسر عليه فهمها واستجلائها ما دامت في علم الله.

07/ كما نجد **هل** وهي أحد حرفي الاستفهام ولا يستفهم بها إلا عن الجملة في الإثبات نحو هل قرأت النحو ؟ ولا يقال : هل لم تقرأه وأكثر ما يليها الفعل وقلّ أن يليها الاسم

1) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص : 258 .

2) ينظر : المرجع نفسه ، ص 257 .

3) ينظر : نفسه ، ص 258 .

وإذا دخلت على المضارع خصصته بالاستقبال [1] وهذا ما جاء في قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة المائدة ، الآية 112] أي هل يقدر ربك ؟ وقال "أبو اسحاق الزجاج" : فليس المعنى عندي – والله أعلم– أنهم جهلوا أنّ الله يقدر على أن ينزل مائدة ولكن وجه السؤال : هل ترينا أنت أنّ ربك يرينا ما سألناه من أجلك من آياتك التي تدل على نبوتك ؟ [2] .

08/ وهناك أيضا **كيف** : وقد جرى الاستفهام على لسان شعيب – عليه السلام – في قوله تعالى : ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾[سورة الأعراف ، الآية 93] ، أي فتولى عنهم شعيب – عليه السلام – بعد ما أصابهم من العذاب والنقمة والنكال ، وقال مقرعا لهم وموبخا ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) أي قد أديت إليكم ما أرسلت به فلا أسفه عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به ولهذا قال فكيف آسى على قوم كافرين ، فالاستفهام بيّن في هذا الحوار موقف سيدنا شعيب – عليه السلام– بأنه بريء مما يشركون وقد أدى ما عليه نحوهم وحمّلهم نتائج إعراضهم عن الحق ومخالفتهم له .

هذه الحروف كان لها دور وظيفي ودلالي بالغ الأهمية لا يقوم بدونها عنصر الحوار في القصص القرآني لأنها كانت أكثر أقسام الكلام استعمالا بين أنبياء الله وأقوامهم الذين أرسلوا إليهم هذا من جهة ومن جهة ثانية فقد أثبتت فنية القصة القرآنية انطلاقا من الصياغة والبناء اللغوي قبل عنصر الحوار كأحد مقومات البناء الفني للقصص القرآني .

1) ينظر : مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، ص 213 .

2) ينظر : الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ،ج 02 ، 243 .

رابعا :الصراع

الصراع في القصص القرآني بمختلف أطرافه وأنواعه شاركت في قيامه حروف المعاني على تباينها من ذلك ما يلي :

01/ نجد **لولا** التي هي حرف امتناع لوجود :حرف يتضمن معنى الشرط يدل على امتناع شيء لوجود غيره لا عمل له وهو مختص بالجمل الاسمية نحو ﴿يَقُولُ الذينَ اسْتُضْعِفُوا للذينَ اسْتَكْبَرُوا لَولاَ أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِنَ﴾ [سورة سبأ ، الآية31] .

لولا:حرف امتناع لوجود يتضمن معنى الشرط مبني على السكون لا محل له من الإعراب

انتم:ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ والخبر محذوف وجوبا تقديره موجودون أو صددتمون على رأي بعض المفسرين .

لكُنا :اللام حرف جواب و ربط مبني على الفتح لا محل له من الإعراب .

كنا: فعل ماضي ناقص مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك ،نا:ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع اسم كان

مؤمنين :خبر كان منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم و جملة لو كنا مؤمنين لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم [1] .

بيّنت (لولا) أنّ الأتباع في حال تخاصمهم بين يدي الله مع قادتهم الذين صدوهم عن إتباع الرسل والإيمان بما أتوا به ، فلولا وضّحت أنّ هناك حاجزا حال بينهم وبين تصديق الرسل وإيمانهم بهم .

1) ينظر : إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ص 261

02/ كما نجد **على** : الاستعلاء ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 20] والمعنى كما قال الطبري : «إن أدبروا معرضين عما تدعوهم إليه من الإسلام وإخلاص التوحيد لله رب العالمين فإنما أنت رسول مبلغ وليس عليك غير إبلاغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه من خلقي ، وأداء ما كلفتك من طاعة» [1] .

وهنا كانت (على) هي الحل في قمة الصراع القائم بين النبي – عليه الصلاة والسلام– ما جاء به من التوحيد والدعوة إلى سبيله وبين الموالين والأميين من المشركين بأنّ مهمته تقف عند التبليغ ، أمّا الهداية فالله أعلم بمن يستحقها ممن يستحق الضلالة .

وهذه الآية الكريمة تضمنت العديد من التوجيهات الربانية ومع ذلك لم يقترن شيء منها بما يدل على الاستعلاء إلا عندما جاء الحديث عن المهمة الكبرى مهمة الإبلاغ والرسالة فاقترن توجيه الله عز وجل لنبيه – صلى الله عليه وسلم – بما يفيد استعلاء هذا الأمر وأهميته فجاء السياق القرآني بحرف الجر (على) لما فيه من الدلالة على الاستعلاء .

وأيضا قوله تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 103] والمعنى كما قال الطبري «واذكروا ما أمرنا الله به عليكم من الألفة والاجتماع على الإسلام » [2] ،وهذه النعمة التي امتنّ الله بها على عباده قد استعلت عليهم وأحاطت بهم من كل جانب وقبل هذه النعمة كان الناس كما وصفهم الله عز

1) أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج06 ، ص 283 .

2) أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج07 ، ص 76 .

وجل (أعداء) وكانوا (على شفا حفرة من النار) ، وانظر كيف أدى معنى الاستعلاء الذي تضمن حرف الجر (على) ، هذا المشهد لحال الأوس والخزرج وكأنهم قد استعلوا فوق حفرة من النار ليس بينهم وبين الوقوع فيها إلا كما بين المعلق فوق الحفرة لا يلبث أن يقع فيها [1] .

من هنا صورت (على) بمعنى الاستعلاء شأن الأوس والخزرج وما كان بينهم من حروب كثيرة وعداوة وضغائن كبيرة ، وكانوا على شفا حفرة من النار لكفرهم وأنقذهم الله تعالى منها أن هداهم للإيمان وصاروا إخوانا متحابين بجلال الله وهو ما امتن به رسول الله عليهم يوم قسمة غنائم حُنين [2] .

وأيضا : ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[سورة آل عمران الآية 122] الاستعلاء الذي تضمن حرف الجر (على) يكون متعلقا لتوكل العبد المؤمن على ربّه ، فيكون بهذا التوكل مستعليا على كل ما يعترضه فإذا كان ذلك كذلك فسيكون هذا التوكل الذي أراده الله تعالى من عباده المؤمنين بل وأمرهم به وجعله صفة ملازمة لهم [3] .

واستعملت في قوله ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[سورة سبأ ، الآية 24] فاستعملت (على) في جانب الحق و(في) جانب الباطل لأن صاحب الحق كأنه مستعلٍ يرقب نظره كيف شاء ظاهرة له الأشياء ، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام ولا يدري أين توجهه [4] .

1) ينظر : علي الجهني ، أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير ، ص 235 .

2) ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مج 01 ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط 03 ، 2002 م ، ، ص 380 .

3) ينظر : علي الجهني ، أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير ، ص 236 .

4) ينظر : المرجع نفسه ، ص 600 .

03/ ونلاحظ أنّ لو والتي هي حرف مصدري و استقبال لأنه إذا أتى بعدها فعل مضارع تخصص للزمن المستقبل مبني على السكون لا محل له من الإعراب ولا عمل له ترادف أن و يؤول ما بعدها بمصدر تعرب حسب موقعها في الجملة وأكثر وقوعها بعد (ودّ) نحو ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [سورة القلم ، الآية 9] أي ودو دهنك أو يود نحو ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة ، الآية 96] أي يود التعمير [1] ، وقد كشفت (لو) هنا عن الصراع الداخلي المتمكن من المشرك «وذلك أنّه لا يرجو بعثا بعد الموت فهو يحب طول الحياة » [2] ويتمنى دائما طولها وزيادة التعمير خوفا مما ينتظره من العذاب .

04/ كما نجد **من** وهي حرف جر مبني على السكون لا محل له من الإعراب تجر الاسم الظاهر والضمير ، من معانيها :

التبعيض نحو : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 92] [3] ، وأزالت (من) الستار عن الصراع الداخلي الذي يقع فيه المؤمن إذ عليه اختيار أحب ما لديه للصدقة في سبيل الله حتى ينال رضوان الله وجنانه .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 69] والمعنى كما قال الطبري : «يعني بقوله جل ثناءه (ودت) تمنت (طائفة) يعني جماعة (من أهل الكتاب) وهم أهل التوراة من اليهود وأهل الإنجيل من النصارى

1) نظر : إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ، ص 260 – 261 .

2) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مج 01 ، ص 130 .

3) ينظر : إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ، ص 278 .

(لو يضلونكم) يقولون : لو يصدونكم أيها المؤمنون عن الإسلام ويردونكم عنه إلى ما هم عليه من الكفر ، فيهلكونكم بذلك» [1] ، ومن فضحت أمر هؤلاء الجماعة من حسّاد اليهود للمؤمنين وغيضهم عليهم «وبغيهم إياهم الإضلال ، وأخبر سبحانه وتعالى أنّ وبال ذلك إنما يعود على أنفسهم وهم لا يشعرون أنهم ممكور بهم » [2] .

فالصراع نفسي داخل بعض أهل الكتاب ومن هنا بينت هذا الصراع من خلال مجموعة أهل التوراة من اليهود وأهل الإنجيل من النصارى .

05/ كما أن هناك **من** لبيان الجنس :﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 21]والمعنى كما قال "السمرقندي" وهم مؤمنو بني إسرائيل يأمرونهم بالمعروف فكانوا يقتلونهم فعيرهم الله بذلك وأعدهم النار» [3] .

و(من) هنا بيّنت أحد طرفي الصراع وهم مؤمنو بني إسرائيل الذين أمروا قاتلي الأنبياء بالمعروف ونهوا عن المنكر فكان مصيرهم القتل أيضا .

خامسا : البيئة (الزمان والمكان)

01/ الزمان :

والزمان بدوره كان له القسط من الحروف التي برهنت على قيامه وهناك الكثير من حروف المعاني أثبتت فنية عنصر الزمان كأساس من أسس بناء القصص الفني مثالها :

1) أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 06 ، ص 500 .

2) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مج 01 ، ص 364 .

3) علي الجهني ، أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير ، ص 502 ، نقلا عن .بحر العلوم للسمرقندي ، ج 01 ، ص 251 .

- **مهما** : لما لا يعقل مع تضمن الشرط ، وقد ترد إلى الزمن مع الشرط ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية 132] للدلالة على ما لا يعقل مع الشرط [1] ، وقد أضفت على الحدث قوة وإصرار على تمرد قوم فرعون وعتوهم وعنادهم تجاه الحق وتمسكهم بالباطل في أي وقت حتى مع توفر الدلائل والحجج فلن يقبلوها ولن يؤمنوا به وبما جاء به .

- وتأتي **ثم** : للترتيب والتراخي في الزمن ، وقد تأتي لترتيب الإخبار مثل ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴾[سورة يونس ، الآية 46] [2] ويتضح دور (ثمّ) هنا في ترتيب الأحداث عبر الزمن فيكون الانتقام منهم في حياته صلى الله عليه وسلم ، والله يتولاهم ويشهد على أفعالهم بعده عليه الصلاة والسلام .

- وهناك **على** وتأتي بمعنى (في) نحو ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾[سورة القصص ، الآية 15] أي في حين غفلة [3] .

وبالتالي وضحت (على) حال الزمان وما اتصف به كونها أدت معنى الظرفية (في) ، فالقصة تصور بذلك حيثياتها التي جرت خلالها الأحداث .

1) ينظر : عباس علي الأوسي ، الإحالة في القرآن الكريم ، 368 .

2) ينظر : المرجع نفسه ، ص 376 .

3) ينظر : إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ، ص 181 .

– ونقف عند **إذ** : لقد أجمع على الأصل فيها أن تكون للزمان الماضي ، قال الزجاج والأصل في إذ الدلالة على ما مضى منع قوله تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34) إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 33 – 35] [1] .

فدلت (إذ) على كون النذر حصل عندما حملت امرأة عمران (أم مريم) وهي لا تعلم جنس ما في بطنها وقبل الولادة ويكون مولودها متفرغا للعبادة ولخدمة بيت المقدس ، وبهذا تكون (إذ) قد كشفت عن زمن وقوع هذا النذر وحيثياته الزمانية .

– وهناك **واو** الحال مؤكِدة وهي التي يستفاد معناها كمن صريح لفظ عاملها والأكثر تخالفه لفظا وتوافقه معنًا مثل : ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً ﴾[سورة مريم ، الآية 15] ، وقد توافقه لفظا ومعنا وتفيد تقوية معنى صاحبها مثل ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[سورة يونس ، الآية 99] فكلمة (جميعا) والحال هنا تفيد العموم أيضا فهي مؤكدة له [2] ، فالواو أكدت من خلال وظيفتها النحوية من جهة ومن تكرارها من جهة أخرى على المعنى الذي وظّفت فيه عبر مختلف محطات حياته – عليه السلام – (المولد الموت ، البعث) لم يكن ليتصف بهذا الجمال والقوة لو لم تكن الواو موجودة .

– وتجيء **لما الظرفية** : تختص بالماضي ويكون جوابها فعلا ماضيا نحو (فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) فلما : (ف) حسب ما قبلها ، (لما): ظرف زمان متضمن معنى الشرط مبني على السكون في محل نصب مفعول فيه متعلق بالجواب أعرضت . أو تدخل على فعل مضارع

1) ينظر : محمود أحمد الصغير ، الأدوات النحوية في كتب التفاسير ، ص 441 .

2) ينظر : عباس علي الأوسي ، الإحالة في القرآن الكريم ، ص 208 -209 .

عند بعضهم نحو : ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾[سورة هود الآية 74] ، وهو مؤول بـ (يجادلنا) [1] ، ووضحت (لما) الزمن الذي تكلم فيه سيدنا إبراهيم – عليه السلام– وناقش بعد أن ذهب عنه الروع «وهو ما أوجس من الملائكة خيفة حين لم يأكلوا ويشروه بعد ذلك بالولد وأخبروه بهلاك قوم لوط » [2] .

– وهناك **إذا** الفجائية : يقصد بالمفاجئة موافقة الشيء في حال أنت فيها وأداتها إذا الفجائية ولا يليها إلا الجملة الاسمية وقيل فيها : إنها ظرف زمان أو ظرف مكان أو حرف ، وتأتي في غير الشرط : ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾[سورة الأعراف الآية 107 – 108] فتحمل موفقة الثعبان لإلقاء موسى العصا في الزمان والمكان وكذلك موافقة البياض للنزع [3] . و ذهب ""الزمخشري"" إلى أنها ظرفية زمانية في قوله تعالى : ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾[سورة طه ، الآية 66] والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت والتقدير : تفاجئ موسى – عليه السلام – وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم [4] .

– ونجد **ما المصدرية** : حرف مصدري يؤول مع ما بعده بمصدر وهي قسمان قسم منها:

ظرفية زمانية : يكون ما بعدها في تأويل مصدر في محل نصب ظرف زمان وذلك إذا كان ما بعدها دالا على الزمان نحو : ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ﴾ [سورة مريم ، الآية 31] ، ما : حرف مصدري مبني على السكون لا محل له من الإعراب

1) ينظر : إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ، ص 258 .

2) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مج 02 ، ص 452 .

3) ينظر : عباس علي الأوسي ، الإحالة في القرآن الكريم ، ص 358 – 359 .

4) ينظر : محمود أحمد الصغير ، الأدوات النحوية في كتب التفاسير ، ص 452 .

دمت : فعل ماض ناقص مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك والتاء ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع اسم دام ، (حيا) : خبر دام منصوب والمصدر المؤول من (مادمت حيا) أي مدت حياتي في محل نصب مفعول فيه أو مدة دوامي حيا [1] ، وقد حددت (ما المصدرية) في هذه الآية الكريمة الزمن الذي تستغرقه هذه الوصية (الصلاة والزكاة) ضمن إطار القصة بصفة عامة .

- ونجد أيضا **إلا** للاستثناء : ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [سورة العنكبوت الآية 14] ، فكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد ، وجاء الإخبار عن المدة بأسلوب الاستثناء حصر للعدد ، فلا تحتمل فيه المبالغة ، وتهويلا على السامع ليعذر نوح – عليه السلام – في الدعاء على قومه لما ابتلى منهم وما كابده من طول المصابرة [2] ، تسلية من الله لعبده ورسوله محمد – صلى الله عليه وسلم- بأنّه مكث كل هذه المدة داعيا إلى الحق ولم يؤمن به إلا القليل من قومه ، وقد لعبت (إلاّ) دورا هاما في إبراز العدد والإيحاء بمدى طول المدة الزمانية وذلك لأغراض كثيرة .

- **لام** التوكيد : وتقع في جواب القسم ، فتدخل على المستقبل﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾[سورة الأنبياء ، الآية 57] فاللام للتأكيد وإيصال المقسم عليه وصارفة الفعل إلى الاستقبال ، وأكدن (لام التوكيد) من خلال قسم إبراهيم- عليه السلام – وحرصه على إيذاء أصنامهم وتكسيرها ، لكن هذا الفعل يكون في زمن المستقبل عند ذهابهم إلى عيدهم.

1) ينظر : إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ، ص 268 .

2) ينظر : عباس علي الأوسي ، الإحالة في القرآن الكريم ، ص 207 .

02/المكان :

وكذلك فقد أثبت النص اللغوي للقصص القرآني قيام عنصر المكان كأحد مقومات القصة القرآنية عن طريق حريق حروف المعاني والتي عبّر العديد منها عن هذا العنصر كالآتي :

- نجد **حيث** : وهي ظرف مكان وذكر "الزمخشري" أن حيث تكون ظرفا للمكان المبهم كقوله تعالى﴿وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة ، الآية 35] أي مكان من الجنة [1] . حيث : للمكان وقد ذكروا الوجهين في قراءة ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آَيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ [سورة الأنعام ،الآية 124] بفتح الثاء وجوز أبو علي الفارسي وغيره في هذه كونها مفعولا به على السعة إذ لا تكون ظرفا لأن الله سبحانه لا يكون في مكان أعلى منع في ما كان فالمعنى أنه سبحانه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة ، لا شيئا في المكان ، ونصبها يعلم محذوفا مدلولا عليه بالعلم) لا (بأعلم) نفسه لأن اسم التفضيل لا ينصب المفعول به إلا إن أول بعالم [2] ، وفي كلا الآيتين وضحت (حيث) المكان إبرازا لحيثيات الحدث .

- **على** حرف جر يجر الاسم الظاهر : والضمير من معانيها الاستعلاء حقيقة أو مجازا وهو أصل معانيها نحو ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [سورة المؤمنون ، الآية 22] [3] .

1) ينظر : محمود أحمد الصغير ، الأدوات النحوية في كتب التفاسير ، ص 453 .

2) ينظر : عباس علي الأوسي ، الإحالة في القرآن الكريم ، ص 202 .

3) ينظر : إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ، ص 181 .

وكذلك في قوله : ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 37] والمعنى كما قال الأولوسي : «والمحراب على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما غرفة مبنية لها في بيت المقدس وجعلت بابها في وسط الحائط وكانت لا يصعد عليها إلا يسلم مثل باب الكعبة » [1] ، وهذا هو السر والله أعلم في التعبير بحرف الجر (على) الذي يفيد الاستعلاء ليشير لهذا المعنى ومما يدل على ذلك أنّ المعنى يكون واضحا في الدلالة على الدخول من غير وجود حرف الجر (على) لكن مجيئه أفاد زيادة في المعنى وهي التي ذكرت أنّ هذا المحراب الذي كانت تقيم فيه مريم – عليها السلام – كان مرتفعا لا يتوصل إليه إلا بسلم (إذ تسوروا المحراب) [سورة ص ، الآية 21] والسور لا يكون إلا من علو يقال تسور الحائط إذ استعلاه [2] .

وبالتالي فقد كان لحرف (على) بمعنى الاستعلاء دور كبير في بيان هيئة سكنها وحاله وكله خدمة لمجريات القصة والتصوير الذي جاءت عليه .

– **عند** : اسم لا يقع إلا ظرفا بـ (من) ويلزم الإضافة إلى المفرد أي لا يضاف إلى الجملة ولا يجوز حذف المضاف إليه ، وهو ظرف مكان[3] في الآية ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾[سورة النمل ، الآية 40] ، أكّد الحرف (عند) هنا على مدى تيقّن سليمان – عيه السلام – واطمئنانه عندما رأى العرش يُحمل بين يده فعاينه وتيقّن من نعمة الله عليه فأبعدت أيّ شك أو احتمال .

1) شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، ج 3 ، ص 07 .

2) ينظر : علي الجهني ، أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير ، ص 229 .

3) ينظر : إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ، ص 187 .

- **أي** : وهي بحسب ما تضاف إليه فتأتي للمكان [1] ومثاله قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة لقمان ، الآية 34] ، بما أنّها أُضيفت للمكان في هذه الآية فإنها ترجمت وعبّرت عنه فهي أحد الأدلة اللغوية وحججه على ثبوت عنصر المكان كمقوم للقصة القرآنية .

- **اللام** الجارة : حرف يجر الاسم الظاهر والضمير ، تكسر مع الاسم الظاهر إلا مع المستغاث المباشر بياء فتفتح نحو : يا الله ، وتفتح مع الضمير ، إلا مع يا المتكلم فتكسر للمناسبة ولها ثلاثون معنى تقريبا منها : انتهاء الغاية الزمنية أو المكانية بمعنى أن ما قبلها ينهي بمجرورها [2] نحو ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة ، الآية 284] .

- ونجد **في** بمعنى الظرفية ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران الآية 07] قال أبو السعود : «وفي جعل قلوبهم مقر الزيغ مبالغة في عدو لهم عن سنن الرشاد وإسرارهم على الشر والفساد » [3] .

ومن أثر دلالة معنى (في) هنا أن قلوب الفريق الأول جعلت ظرفا للزيغ وكانت النتيجة إتباع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويل كتاب الله وأما الفريق الثاني فهم أهل الإيمان فقد جعل

1) ينظر : عباس علي الأوسي ، الإحالة في القرآن الكريم ، ص 281 .

2) ينظر : إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ، ص 236 .

3) عبد الرحمان السعدي ، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، ج 01 ، ص 353 .

الظرف الذي رسخوا فيه هو العلم فشتان ما بين الظرفين [1] ، والحرف (في) بمعنى الظرفية هو الذي وضّح وحدد الموضع والمكان في الحالتين .

كما تأتي في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 35] «ما : اسم موصول بمعنى الذي مبني على السكون في محل نصب مفعول به ، في : حرف جر ، بطن : اسم مجرور بفي والياء ضمير متصل مبني على السكون في محل جر مضاف إليه والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف تقديره استقر وجملة استقر صلة موصول لا محل لها من الإعراب ، محررا : حال من ما منصوب بمعنى معتقا» [2] (ما في بطني محررا) للظرفية المكانية .

وكذلك : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 39] للظرفية المكانية وأيضا قوله تعالى :﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 45] للظرفية المكانية .

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : «أي له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا بما يوحيه الله إليه من الشريعة ، وينزل عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه به وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فمن يأذن له فيه فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولي العزم صلوات الله عليهم» [3] .

1) ينظر : علي الجهني ، أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير ، ص 303 .

2) بهجت عبد الواحد ، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل ، ج 02 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 01 ، (د ت) ، ص 42 .

3) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 02 ، ص 43 .

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 46] «أي يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، في حال صغره معجزة وآية» [1] .

وفي كلّ الآيات السابقة بدا الدور الوظيفي والدلالي الذي أضفاه الحرف (في) بمعنى الظرفية واضحا فيها ولا غنًا عنه في أدائه ، وبالتالي فقد عبّر أيّما تعبير عن عنصر المكان وتأثيره في قيام القصة القرآنية .

والظرفية المجازية في قوله تعالى :﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 65] ، وكذلك مجازية ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 152] والمعنى كما قال الفخر الرازي :«قوله (في الأمر) فيه وجهان : أن الأمر ها هنا بمعنى الشأن والقصة ، أي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشأن والثاني أنه الأمر الذي يضاده النهي ، والمعنى : وتنازعتم فيما أمركم الرسول به من ملازمة ذلك المكان» [2] .

وأيضا : ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[سورة آل عمران ، الآية 15] والمعنى كما قال الطبري :«وأما قوله : (خالدين فيها) فمنصوب على القطع ، والقطع يعني الحال» [3] .

1) المرجع نفسه ، ج 02 ، ص43 .

2) فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، ج 04 ، ص 416 .

3) أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 06 ، ص 261 .

ومن أثر دلالة حرف الجر (في) هنا أن الجنة أصبحت ظرفا لأهل التقى مما يحفز السامع لهذه الآية على الاجتهاد لبلوغ مرتبة المتقين .

وأيضا ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية 29] والمعنى كما قال الألوسي : «(قل إن تخفوا ما في صدوركم) أي تستروا ما في قلوبكم من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفار ، وإنما ذكر الصدر لأنه محل القلب (أو تبدوه) أي تظهروه فيما بينكم (يعلمه الله) فيأخذكم به عند مصيركم إليه ولا ينفعكم إخفاؤه » [1] . والظرفية هنا مكانية [2] بيّنت قدرة الله وعظم علمه سبحانه فلا يخفى عليه شيء وإن كان في مكان خفي عن أنظار البشر كالقلوب وهو ما ترجمت عنه في هذه الآية الكريمة .

– **من** الجارة غير الزائدة : من معانيها ابتداء الغاية المكانية [3] نحو ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[سورة الإسراء ، الآية 01] ، وقد لعبت (من) هنا دورا بالغ الأهمية عندما بيّنت الحدود المكانية لحادثة الإسراء من مسجد مكة إلى بيت المقدس وقدرته سبحانه وتعالى .

– وهناك **إلى** : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [سورة آل عمران الآية 12] وهي غاية مكانية فالمعنى أن جهنم هي غاية حشرهم ومنتهاه فـ (إلى) على معناها المتبادر كما قال "الألوسي" : «وقوله إلى جهنم هي غاية حشرهم ومنتهاه وإلى على معناها

1) شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، ج 02 ، ص 486 .

2) ينظر : علي الجهني ، أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير ، ص 307 .

3) ينظر : إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ، ص 279 .

المتبادر وقيل بمعنى في والمعنى أنهم يجمعون فيها ، والآية كالتوكيد لما قبلها فإن الغلبة تحصل بعدم الانتفاع بالأولاد والأموال والحشر إلى جهنم مبدأ كونهم وقودا لها» [1] .

-وتأتي **إلى** : بمعنى تحت ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾ [سورة طه الآية 22] ودلت إلى في تحت على المكانية الحقيقية [2] .

وبذلك تكون (إلى) في الآيتين الكريمتين قد وُظفت للدلالة المكانية مبرهنة بالنص اللغوي عن عنصر المكان في القصة القرآنية قبل قيامه كأحد أُسسها الفنيّة .

وبناءً على ما تقدم عرضه من حروف للمعاني ودلالتها التي أكدت على كلّ أساس من أسس بناء القصة القرآنية انطلاقا من النص اللغوي قبل المقومات الفنية لها ، وكانت من بين الأعمدة الأساس في قيام معمارها الفني الذي لا يمكن الاستغناء عنه ، فإلى جانب الدور الوظيفي تجلى دورها الدلالي في مجرى الأحداث وتسلسلها ورسم الشخصيات وملامحها والحوار وتنوعه وتحديد الزمان والمكان ورصد الصراع وأطرافه .

1) شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، ج02، ص 438 .

2) ينظر : محمود أحمد الصغير ، الأدوات النحوية في كتب التفاسير ، ص 461 .

الفصل الثالث

القيمة الوظيفية الفنية لحروف المعاني

من خلال تقنيات القص القرآني في

سورة يوسف

الفصل الثالث

القيمة الوظيفية الفنية لحروف المعاني من خلال تقنيات القص القرآني في سورة يوسف –عليه السلام–

أولا : بين يدي السورة .

ثانيا : فنية القصة من خلال حروف المعاني .

01/ الحدث .

02/ الشخصيات .

03/ الحوار .

04/ الصراع .

05/ البيئة

أ –الزمان .

ب– المكان .

أولا : بين يدي السورة

الاسم الوحيد لهذه السورة هو سورة "يوسف" ، فقد سمّيت كذلك لأنّها أفردت الحديث عن نبي الله يوسف بن يعقوب ، وما لقاه – عليه السلام – من أنواع البلاء ومن ضروب المحن والشدائد من إخوته ومن الآخرين حتى نجّاه الله من ذلك الضيق [1] .

وهي سورة مكية آياتها أحد عشر ة ومائة ورتبتها في النسق القرآني اثني عشرة وترتيبها في نزول السور الثالثة والخمسون على قول الجمهور ، كما أفردت هذه السورة الحديث عن قصة نبي الله يوسف بن يعقوب – عليهم السلام – في شكل مبسّط ومفصّل وفي معرض واحد من القرآن وللسورة أسلوب فذّ فريد في ألفاظها ، وتعبيرها وأدائها ؛ ورغم أنّها من السور المكيّة التي يغلب عليها طابع الإنذار وتهديد إلاّ أنها جاءت طرية مدية في أسلوب ممتع لطيف ، سلس رقيق يحمل جو الأنس والرحمة ، والرأفة والحنان ، نزلت على رسول الله– صلى الله عليه وسلم – في تلك الفترة الحرجة العصيبة من حياته ، حين توالت عليه الشدائد والنكبات في عام الحزن وعلى المؤمنين ، فكانت هذه السورة بمثابة تسلية له ، وتخفيفا لآلامه بذكر قصص المرسلين ، تحمل البشر والأنس والراحة والطمأنينة لمن سار على درب الأنبياء ، فلا بدّ من الفرج بعد الضيق ، ففي السورة دروس وعبر وعظات بالغات [2] .

وعن سبب نزول هذه السورة في القرآن الكريم أنّ كفار مكة لقي بعضهم اليهود وتباحثوا في ذكر محمد – صلى الله عليه وسلم – ، فقال لهم اليهود : سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وهن قصة يوسف ؟ فنزلت السورة كاملة .

1) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، دار طليطلة ، الجزائر ، ط 01 ، 2012 م ، ص 15 – 16 .

2) ينظر : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ج 02 ، شركة الشهاب ، الجزائر ، ط 05 ، 1990 م ، ص 39 – 40 .

«وروي "ابن جنان" و"ابن جرير" و"الحاكم" بسند صحيح عن "سعد بن أبي وقاص" قال أنزل الله القرآن على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتلاه علينا زمنا وقالوا : يا رسول الله لو قصصت علينا ؟» [1] فأنزل الله تعالى قوله ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة يوسف ، الآية 03] .

وأمّا عن سبب نزولها على الشكل القصصي الخاص – التطويل والإطناب– هو أنّ قريشا كانت مولعة بسماع القصص الطوال والنضر بن الحارث يمتعهم بروايتها وكان يتردد على الحيرة فتعلم أحاديث (رستم) واستفديار) من أبطال فارس ، فكان يحدث قريشا بذلك ، ويقول لهم : أنا والله أحسن حديثا من محمد فهلمّ أحدثكم أحسن من حديثه ثمّ يحدثهم بأخبار فارس فكان ما في بعضها من التطويل على عادة أهل الأخبار من الفرس يموّه به عليهم بأنّه أشبه بالسامع فجاءت هذه السورة على أسلوب استيعاب القصة تحديا لهم بالمعارضة [2] .

وعادة القرآن الكريم بتكرير القصة في مواطن عديدة بقصد العظة والاعتبار ، ولكن بإيجا ز دون توسع لاستكمال جميع حلقات القصة وللتشويق إلى سماع الأخبار دون سآمة أو ملل ، وأما سورة يوسف فقد ذكرت حلقاتها متتابعة بإسهاب وإطناب ولم تكرر في مكان آخر كسائر قصص الرسل ، لتشير إلى إعجاز القرآن في المجمل والمفصل [3] وهي السمة التي ميّزتها عن غيرها من قصص النبيين – عليهم الصلاة والسلام – حيث لم تتفرق في جملة مواطن وسور [4] .

1) المرجع السابق ، ص 16 .

2) ينظر : محمد الطاهرين عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 12 ، الدر التونسية للنشر ، تونس ، (د ط) ، 1984 م ، ص 199 – 200 .

3) ينظر : علي محمد الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 40 .

4) ينظر : محمود المصري ، يوسف الأحلام ، قصة يوسف – عليه السلام – ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط 01 ، 2008 م ، ص 14 .

وقال العلامة القرطبي : «ذكر الله أقاصيص الأنبياء بالقرآن ، وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة وبألفاظ متباينة على درجات البلاغة والبيان وذكر يوسف ولم يكررها ، فلم يقدر مخالف على معارضة المكرر ولا على معارضة غير المكرر [1] .

كما أنّها تضمنت عبرا وحكما ومواعظ أكثر من غيرها ، ولذلك بُدأت بقوله تعالى﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾[سورة يوسف الآية 03] ، وختمت بقوله ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يوسف الآية 111] [2] .

فمن مقاصدها وأهمّ أغراضها :

- بيان قصة يوسف – عليه السلام – مع إخوته وما لقيه في حياته .
- إثبات بعض الرؤى قد يكون فيها إنباء بأمر مغيّب .
- وأنّ تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحي عباده .
- تحاسد القرابة بينهم .
- ولطف الله بمن يصطفيه من عباده .
- والعبرة بحسن العواقب والوفاء والأمانة والصدق والتوبة .
- وسكن إسرائيل وبنيه بأرض مصر .

1) ينظر : علي محمد الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 40 .

2) ينظر : محمود المصري ، يوسف الأحلام ، قصة يوسف – عليه السلام – ، ص 14 .

- وتسلية النبي – صلى الله عليه وسلم – بما لقيه يعقوب ويوسف – عليهما السلام – من آلهم من الأذى .
- وفيها العبرة بصبر الأنبياء وكيف تكون لها العاقبة .
- وفيها العبرة لهجرة النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى البلد الذي حلّ به كما فعل يعقوب – عليه السلام – .
- وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجارتها واسترقاق السارق وأحوال المساجين ومراقبة المكاييل [1] .

كما وردت في سورة يوسف – عليه السلام – ألفاظ غريبة لم ترد في غيرها من السور وجمع هذه الألفاظ الشيخ "محمد الطاهر التليلي" في منظومته حيث يقول في هذا المقطع :

في سورة يوسف قد وردت تثريبا **** ولم نجد في غيرها ضريبا .

واذكر في يوسف وحيدا حصحص **** ومن يقل بغير ذا فقد عصا .

ولفظ خبز جاء يا صديقي **** منفردا في سورة الصديق .

دراهم في يوسف الصديق **** وحيدة في الذكر والتحقيق .

قد خصصوا الصواع بالصديق **** من سور القرآن بالتحقيق .

واذكر في سورة الصديق تفتأ **** وحيدة بذا أتان النبا .

وهيت لفظ في الصديق **** منعم المثيل بالتحقيق [2] .

1) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، ص 18 .

2) محمد الطاهر التليلي ، مسائل قرآنية – منظومات – ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د ط) ، 1986 م ، ص 21 – 40 .

وعليه سميت السورة أحسن القصص بما تضمنته من العبر والحكم ، وما ذكر فيها من الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والإنس والأنعام والطير ، وسير الملوك والمماليك والتجار والعلماء والجهال ، والرجال والنساء وحليهم ومكرهم وفيها ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا والسياسة وتدبير المعاش وجمل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا واشتمالها على حاسب ومحسوب ومالك ومملوك وشاهد ومشهود ، وحبس وإطلاق وخصب وجدب وذنب وعفو وفراق ووصال وسقم وصحة وحل وارتحال ،وذل وعز ، وأنواع التنقلات من محنة إلى محنة ومن محنة إلى منحة ومنة ، ومن رقّ إلى ملك ، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف ، ومن حزن إلى سرور ، فقد أفادت أنّه دافع لقضاء الله تعالى ولا مانع من قدره وأنّ الصبر مفتاح الفرج وأنّ التدبير من العقل وبه يصلح أمر الميعاد فتبارك من قصها فأحسنها ووضحها وبيّنها [1] .

1) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، ص 26 – 27 .

ثانيا : فنية القصة من خلال حروف المعاني

01/ الحدث :

ما الحدث إلا مجرد حركة للشخصية في إطار الزمان والمكان ، فقد تنوعت أحداث قصة يوسف – عليه السلام – بتنويع شخصياتها وتعدد مواقفها ووردت في سياق متسلسل محكم ؛ كيف لا وهي من نسج صاحب العلم والكمال وسأعرض بعضها مع التطرق لدور وأثر حروف المعاني فيها وفق الآتي :

أ– الحدث الأول من الآية 04 إلى الآية 18 :

يضم إخبار يوسف – عليه السلام – رؤياه لأبيه وكيد إخوته له ويشتمل على المشاهد التالية :

– **المشهد الأول** : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة يوسف ، من الآية 04 إلى الآية 06] يخبر يوسف – عليه السلام – أباه برؤياه ، ويعقوب – عليه السلام – ينصحه بعدم إخبارها لإخوته لكي لا يحقدوا عليه ويكيدوا له ، واستشراف أبيه بمستقبله الإيماني وتفكيره بنعمة الله على أبويه إسحاق ويعقوب – عليهم السلام – وقد اشتمل المشهد على جملة من حروف المعاني وهي :

* أداة النداء (الياء) في كل من (يا أبت) في نداء يوسف لأبيه – عليهما السلام – قصد الاهتمام وتعظيما لشأن رؤياه ، وفي قول يعقوب لابنه يوسف – عليهما السلام – (يابني) قصد التحبب والعطف لتقبل النصح والإرشاد .

* لا الناهية (لا تقصص) صيغة نهي باستخدام اللام الناهية لأنه خاف أن يقصها على إخوته بعد أن علم تأويلها فيحصل منهم الحسد له [1] وعلل هذا النهي بقوله (فيكيدوا لك كيدا) .

* الفاء السببية [2] دلالة التعليل لهذا النصح والإرشاد وتعدى فعل الكيد بلام المشعرة باختصاص المخاطب بالنصح وتمحضه له فجسدت اللام اختصاص يوسف – عليه السلام – بالكيد ولعل تأكيد الكيد ما يقوي المعنى وكذا المجيء بالجملة المعللة بعده (إنّ الشيطان للإنسان عدو مبين) على سبيل الاستئناف البياني [3] .

جميعها أدّت دورا هاما في تصوير الحدث وتحريك شخصياته .

– **المشهد الثاني** : قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [سورة يوسف ، من الآية 07إلى 10] ، يصور المشهد غيرة إخوة يوسف– عليه السلام – منه وتآمرهم عليه واقتراحهم قتله أو إبعاده إلى مكان بعيد واتفقوا أخيرا على إبقائه في بئر على طريق التجار ، وتضمن مجموعة من حروف المعاني منها :

1) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 298 .

2) ينظر : أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 79 .

3) ينظر : هيفاء عثمان عباس ، زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، ص 679 – 680 .

* اللام التي دخلت على قد وهي «حرف ابتداء ، لأنها لا تقع إلا في ابتداء الكلام وتوكيد لأنها تؤكد ما بعدها » [1] تأكيد العبرة والعظة من قصة يوسف – عليه السلام – مع إخوته ، وهي «لام القسم وقد حرف تحقيق» [2] .

* وكذلك نجد لام الابتداء وواو الحال في قوله تعالى ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منّا ونحن عصبة) لأداء فائدة تحقيق مضمون الجملة وتأكيده مع بيان حالهم الأحق بالمحبة كونهم جماعة قادرون على الحل والعقد .

* ويتبين في صيغة النهي (لا تقتلوا) لغرض النصح والإرشاد ذلك أنّ أحد إخوة يوسف اقترح على إخوته حين تآمروا على قتل يوسف – عليه السلام – مرشدا لهم بإلقائه في الجب بدل قتله لأنها تحقق نفس الغرض دون الإتيان بجريمة أكبر (القتل) .

– **المشهد الثالث:** قال تعالى : ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15) وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16 (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17) وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف ، من الآية 11 إلى الآية 18] : يسجل تنفيذ إخوة يوسف – عليه السلام – لمآمرتهم ضده ، واحتوى العديد من حروف المعاني منها :

1) إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ، دار الهدى ، عين مليلة الجزائر ، (د ط) ، 2012 م ، ص 232 .

2) أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 79 .

* صيغة النداء (يا أبانا) لما أحكموا العزم وأظهروا له حبهم وشفقتهم عليه ليطمئنوه وإبعاد خوفه وقلة ثقته بهم مؤكدين ذلك بقولهم (وإنّ له لناصحون) (وإنّ له لحافظون) .

* الواو الحالية [1] في كلا الجملتين تبيّن مشاعرهم وحرصهم عليه (حالهم) واللام المزحلقة [2] و (له) زيادة في التوكيد للمضمون [3] .

* واللام في (ليحزنني) لام الابتداء للتأكيد ولتخصيص المضارع بالحال ، أخبرهم أنه يحزن لغيبة يوسف عنه لفرط محبته له وخوفه عليه ، ولذلك كان ردهم السريع عليه ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 14] ففائدة (اللام موطئة للقسم) و(إن شرطية) [4] كون الشرط مستلزما للجزاء وضحه حرف الجواب (إذا) أي إن وقعت هذه الواقعة فنحن خاسرون واللام المزحلقة فيها (لخاسرون) دخلت لتأكيد هذا الاستلزام [5] .

* ا لحرف (لما) « وفيها معنى الشرط أبدا لا يفارقها» [6] وفي قوله ﴿ لَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[سورة يوسف ،الآية 15] جملة شرطية وقد حذف جواب لما الشرطية وتقديره فجعلوه فيها ، والشرط في ذلك الحذف أن يكون المذكور دليلا عليه .

1) ينظر : أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 80.

2) ينظر : المرجع نفسه ، ص 80 .

3) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 185 .

4) أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 81 .

5) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 186 .

6) أحمد بن عبد النور المالقي ، رصف المباني في شرح حروف المعاني ، ص 354 .

* واللام الموطئة لجواب القسم في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أكد الفعل المضارع (بنون التوكيد الثقيلة) [1] وعليه بينت هذه الجملة بمؤكديها ووضحت مراد الوحي وقبل النبوة والرسالة [2] .

* الفاء ووظفت في قوله تعالى : ﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾ «وهي حرف عطف في المفردات فمعناها الترتيب لفظا والضم دون معنى والتعقيب » [3] فالفاء هنا للتعقيب ؛ أي أكله بعد ذلك وكأنهم يبررون موقفهم ويدعون أنهم لم يقصروا في محافظتهم ولم يغفلوا عن مراقبته وما فارقوه إلا ساعة يسيرة ، ولذلك خافوا على أنفسهم من أن يتسرب إليه شك في هذا الكلام فقالوا ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ دخلت ما النافية [4] على الجملة الاسمية والباء حرف جر زائد للتأكيد «فهي مشددة للنفي مؤكدة له » [5] ليوهموا أباهم كونهم صادقين في مقالتهم .

كلها لا يُستغن عنها في تصوير الحدث وقيامه لغويا وفنيّا في بناء القصة القرآنية .

ب– الحدث الثاني : قال تعالى :﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف

1) ينظر : أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 81 .

2) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 187 .

3) أحمد بن عبد النور المالقي ، رصف المباني في شرح حروف المعاني ، ص 440 .

4) ينظر : أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 81 .

5) هيفاء عثمان عباس ، زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، ص 118 .

من الآية 19 إلى الآية 21]: يضم أخذ التجار ليوسف – عليه السلام – إلى مصر وبيعه إلى عزيزها الذي أسكنه قصره وأكرم مثواه ويضم المشاهد الآتية :

– **المشهد الأول** : ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[سورة يوسف ،الآية 19] يسجل وصول القافلة التجارية إلى البئر ورؤيتهم يوسف – عليه السلام – وتعجبهم عندما رأوه واشتمل هذا المشهد على بعض حروف المعاني منها :

* صيغة النداء (يا بشرى) (على سبيل السرور والفرح لتبشير نفسه وجماعته قال "أبو السعود" «كأنه نادى البشرى وقال تعالي فهذا أوانك حيث فاز بنعمة جليلة» [1] ويتضح أن حذف حرف (ال) في بشرى فالتقدير (يا أيتها البشرى) وكان حذفها لداعي بلاغي غرضه الإيجاز والاختصار وبمعنى أدق الاستخفاف لكثرة تداولها في الكلام .

– **المشهد الثاني** : قال تعالى :﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 21] يمثل شراء عزيز مصر ليوسف – عليه السلام – من القافلة عند وصولهم إلى مصر وأخذه إلى قصره ليعيش معه مكرما (ولنعلمه) «الواو عاطفة واللام للتعليل ونعلمه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام» [2] وجاءت الواو في هذا الموضع مزيدة للتأكيد وقال "الزمخشري" «إنّ الواو دخلت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف الدالة على أنّ اتصافه بها أمر ثابت ومستقر وضابطه أن تدخل على جملة صفة للنكرة كما في الآية

1) علي محمد الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 44 .

2) محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، مج 04 ، ص 469 .

المذكورة» [1] ، وقد أكّدت في هذا الموضع على اختصاصه لهذه الصفة وثباتها ولصوقها به عليه السلام .

ج– الحدث الثالث: قال تعالى : ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة يوسف ، الآية 23 – 24]

يصور هذا الحدث محنة يوسف – عليه السلام – في بيت عزيز مصر ألا وهي مراودة امرأة العزيز له ، ويوضح حرف الجر (من) في (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) ، محاولة جرّ نفسه إلى ما تهوى وتحب ، وتوالي العطف بالواو بيّن مجريات الحدث وتتابع مراحله ، وكذا (لولا) التي أفادت امتناع وقع مبتغاها لرؤيته عليه السلام لبرهان ربّه وحفظه له سبحانه وتعالى.

د– الحدث الرابع : إشاعة أمر المرأة وموقفها من هذه الإشاعة ﴿في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (30) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَاعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[سورة يوسف ، الآية 30 – 31]

يضم انتشار خبر مراودة امرأة العزيز ليوسف – عليه السلام – في المدينة ، وكيدها لهنّ حين فاجأتهن برؤية يوسف ، فبهرن بحسنه فتوقفن عن لومها وأيّدنها في مراودته . إلا أنّه اختار السجن هروبا منهن عليه السلام ، وقد اشتمل هذا الحدث عن العديد من حروف المعاني التي تجلى دورها بوضوح منها :

1) محمود سعد ، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه ، ص 54 .

* حرف (في) والذي بيّن من خلال معنى الظرفية المكانية موقع الحدث ومكانه .

* (قد) التي أفادت تحقق وقوع الدافع والباحث لهذه الواقعة .

* (لما) والتي دلّت على ذيوع الخبر بين نسوة المدينة وأهلها فكان ذلك دافعا لإعداد مكيدة لهنّ كردّ فعل على هذه الإشاعة وقد كشفت الواو العاطفة (واعتدت ، وقالت ، وقطعن ، وقلن) عن توالي المشاهد مصورة بذلك الحدث وتسلسله .

هـ- الحدث الخامس : دخول يوسف – عليه السلام – السجن حتى مع ثبوت براءته بالحجج والبراهين كحدّ لما شاع من الحديث وانتشر ، يصور تعايش يوسف – عليه السلام – مع السجينين اللذين دخلا معه من خلال تأويل الرؤيا والدعوة إلى الاعتصام بالله تعالى في قوله ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف ، الآية 36 – 40] .

وأحد بعض الحروف المعاني التي ساهمت في تصوير هذا الحدث منها :

* يا النداء ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ صيغة النداء للبعيد والتي صورت بُعد التفكير بين المنادي والمنادى في محاولة لاستدعاء سمعهما والاهتمام بما يقول بالتي هي أحسن .

* كذلك الاستفهام (أأرباب متفرقون أم الله الواحد القهار) ، وهو سؤال جاء على لسان يوسف –عليه السلام– غرضه التقرير ، ليؤكد ويثبت عبادة الله بعد بيان الحجة والبرهان . وفي قوله أيضا: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [سورة يوسف ، الآية 41 – 42] .

أُلاحظ دور (الفاء) في ترتيب الأحداث وتعاقبها (فيسقي ربّه ... فيُصلب ، فتأكل ... فأنساه) أو في بيان النتيجة (فلبث في السجن بضع سنين) .

وعليه كان دور الفاء في تصوير هذا الحدث محوري ومفصلي لا يقوم بدونه سواءا وظيفيا أو دلاليا .

وقد صوّرت الأحداث الأولى لقصة يوسف –عليه السلام– الأزمات والمحن التي مرّ بها ومن غيْرة منه وكيدهم له (ألقي في البئر) ومراودة امرأة العزيز ، اتهامه ظلما بالخيانة وسجنه . وأما باقي أحداث القصة فقد صورت أغلبها انفراج الأزمات وزوال الشداد وانتصار الحق على الباطل وتمكين يوسف –عليه السلام– في الأرض منها :

* حدث خروجه من السجن وتمكين الملك له وجعله في منصب مهمّ من خلال قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) قَالَ اجْعَلْنِي

عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 54 – 55] ، فقد كانت رغبة الملك في إحضار يوسف سببا في تبرئته تبرئة تامّة مما أُلصِق به ، وليس هذا فحسب بل تكون أيضا سببا في التمكين ليوسف ، وليس أدّل على إقتناع الملك بيوسف بعد أن سمع منه وعنه ما سمع من قوله ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ ، ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ فهي تلميحات تُغني عن كل تصريح وصلت إليه نفس الملك من تثبّت ويقين ولذا نراه يقبل من يوسف قوله ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ويعطيه ما أراد [1] .وهناك عدد من حروف المعاني ساهمت بدور فعال في إيصال ما وصل من معنى منها :

* لام الاختصاص (لنفسي) توحي بمدى ثقة الملك به وتقريبه منه بأن خصصه وقربه إليه وأصبح من خاصته وأهل مشورته .

* فلمّا : الفاء أفادت التعقيب ولما الحينية الظرفية وضّحت حيثيّة الحدث وظرفيته والتي نتج عنها تلبية ما أراد عليه السلام .

* وكذا (إنّ) التي أفادت توكيد التمكين والتصريح بالثقة والثبات في اتّخاذ ما أخذ من قرار وكذلك (إنّي) فيما جاء على لسان يوسف –عليه السلام- (إنّي حفيظ عليم) والتي عبّرت عن التأكيد والإيحاء باليقين يُمثله من أمانة وعلم وبصيرة لما يتولاه من أمور عليه السلام .

* وأيضا حدث اجتماع يوسف بأبويه وإخوته في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ

1) ينظر : خالد أحمد أبو جندي ، الجانب الفني للقصة القرآنية ، ص 200 – 201 .

نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 99 – 100] ، يسجل هذا الحدث وصول الأهل جميعا إلى مصر والتقائهم بيوسف عليه السلام وسجودهم له وتحقُّقْ الرؤيا .

وقد لعبت حروف المعاني دورا بارزا في هذا الحدث خاصة ما كان منها للتأكيد من ذلك :

* قد : في قوله : ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ [سورة يوسف الآية 100] أفادت دلالة التحقيق والثبوت للرؤيا التي رآها في صغره ؛ أي صحيحة صادقة كما أكّد نِعم الله عليه وعددها .

* إنّ : والتي ترجمت عن معنى التأكيد وتأكيد التأكيد عنها تكررت ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 100] ،كلها أفادت التحقيق والتأكيد لوعود الله ونصره للحق على الباطل مهما تعاقبت المحن وطال الزمان ، وناسبت نهاية القصة وما ختمت به من تقرير للحقائق وتأكيد لها .

02/ الشخصيات

تعد الشخصيات في القصة القرآنية من العناصر أو الوحدات التي لها أهمية بالغة في بنائها ولا تنبع هذه الأهمية من الشخصية ذاتها ، بل لأنّ الشخصية تمثل أفكارا وقيما وسلوكا تهدف القصة إلى الكشف عنه ، ونجد في أحسن القصص عدّة نماذج للشخصية وُضعت في قوالب معينة وكان لها الفضل في سير تحريك الأحداث فضلا عن دورها في الأداء الفوري ، وسأتطرق لبعض شخصيات قصة يوسف – عليه السلام – سواء أكانت رئيسية أو ثانوية من خلال بنائها

الظاهري (الجسمي) أو الخفي (النفسي) استنادا إلى دور حروف المعاني الوظيفي أو الدلالي في التعبير أو التصوير الفني عن الشخصية المختارة

أ– شخصية يوسف – عليه السلام – : وهي شخصية رئيسية مركزية ذكرت باسمها :

– ونجد أنّ حرف **يا** في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [سورة يوسف ، الآية 4] ، «فالياء حرف نداء وأبتي منادى مضاف إلى ياء المتكلم التي حذفت وعُوضت عنها التاء المكسورة أو المفتوحة» [1] بين هذا القول (صيغة النداء) أدب يوسف – عليه السلام – مع أبيه مشيرا بأداة البعد (يا) إلى أن أباه يعقوب – عليه السلام – عالي المنزلة جدا وأنّ الكلام الآتي له وقع عظيم ، فينبغي أن يهتم بسماعه والجواب عنه [2] يقول "ابن عاشور" «والنداء في الآية مع كون المنادى حاضرا مقصود به الاهتمام بالخبر الذي سيلقى إلى المخاطب فينزل المخاطب منزلة الغائب المطلوب حضوره وهو كناية عن الاهتمام أو استعارة له» [3] .كما تظهر صيغة النداء في قوله تعالى﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 5] غرض التحبب ، فالنداء في هذا الموضع خرج عن غرضه الحقيقي إلى غرض التحبب ويتضح ذلك من خلال مخاطبة يعقوب لابنه يوسف – عليهما السلام – فكلمة (بني) تصغير لكلمة (ابن) في نداء العطف والتحبب الذي يكنه الأب لابنه ، أما عن اللام «فهي ناهية وتقصص فعل مضارع مجزوم بلا» [4] فصيغة النهي في هذه الآية الكريمة (لا تقصص) حيث نهى يعقوب ابنه يوسف – عليه

1) محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، مج 04 ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط 03 ، 1992 م ، ص 450 .

2) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، ص 49 .

3) محمد الطاهرين عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 12 ، ص 12 – 207 .

4) محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، مج 04 ، ص 450 .

السلام – أن لا يقصص رؤياه على إخوته «تحذيرا له مع ثقته بأن التحذير لا يثير في نفسه كراهة لإخوته لأنه وثق منه بكمال العقل» [1] ، وهذا النهي على سبيل الإرشاد والنصح وهو معنى لا يتأتى بدون تعدية الفعل باللام ذلك أنّ اللام مشعرة باختصاص المخاطب بالنصح وتمحضه له فهو قد علم تأويلها وخاف أن يقصها على إخوته فيفهم تأويلها ويحصل منهم الحسد له ، ولهذا علل النهي بقوله (فيكيدوا لك كيدا) فهو جواب للنهي منصوب بإضمار أن أي فيفعل لك أي لأجلك كيدا متينا راسخا لا تقدر على الخلاص منه [2] ، فنصحه محذرا إياه خوفا عليه فقدم العلاج قبل أن يبدأ خطرهم ويتبين من خلال صيغة النداء وصيغة النهي أم يوسف – عليه السلام – كان هو المحبوب إلى أبيه أكثر من سائر إخوته وهو ما أدى بهم إلى ارتكاب جريمة ضده لما وقع في نفوسهم من وساوس الضغينة وثوران الأحقاد .

– و **الواو** : تأتي مزيدة للتأكيد ويتضح ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 21] «فالواو زائدة واللام للتعليل والهاء مفعول به فاعله مستتر واللام وما بعدها في تأويل المصدر متعلقان بمكنا» [3] ويقول "الزمخشري" :«إن الواو دخلت للتأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، الدالة على أن اتصافه بهما أمر ثابت ومستقر ، وضابطه أن تدخل على جملة صفة للنكرة على نحو الآية المذكورة أعلاه» [4] .

وعليه تكون الواو الزائدة قد أكّدت صفة من صفات شخصية يوسف – عليه السلام – وما

1) محمد الطاهرين عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 12 ، ص 214 .

2) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 298 .

3) أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط 01 ، 2004 م ص 83 .

4) محمود سعد ، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه ، (د ب ن) ، (د ط) ، (د ت) ، ص 54 .

اختصه الله به من سمات ورعاية «أي كما نجيناه من الجب جعلناه متمكنا في أرض مصر يعيش فيها بعزّ وأمان مع توفيقه لتعبير بعض المنامات » [1] .

وأما عن تعدية الفعل باللام في (مكنا ليوسف) جاء لمزيد من الاختصاص ليوسف وتشريف له وفسر "أبو السعود" بأنه جعلنا له فيها مكانا ، والمعنى كما جعلنا مثوى كريما في منزل العزيز أو مكانا عليّا في قلبه ، جعلنا له مكانة رفيعة في أرض مصر ، والمهم أنّ اللام أصلية أفادت مزيد اختصاص ليوسف بهذا التمكين إن في القلوب أو في الأرض فهو نبي قضى مراحل حياته يخرج مع ضائقة ليدخل في أخرى ، فقد تكفل الله تعالى في كل أحواله بخلاصة وخروجه من ضوائقه ، ولعل معنى الاختصاص يفسر في ضوء تكريم الله تعالى له وولايته عليه وتمكينه تمكين عز واقتدار [2] بذلك تكون (اللام) قد وضّحت وعبّرت عن تشريف وتكريم الله ليوسف – عليه السلام – وبما خصه به من نِعم ومكارم عليه السلام .

– ويأتي الحرف **حاش** في قوله تعالى﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[سورة يوسف ، الآية 31] ، وهو حرف استثناء حسب ما ذهب إليه "سبويه" وأكثر البصريين إلى أنها حرف دائما بمنزلة (إلاّ) [3] ، وعليه يكون إعراب حاش : حرف جر لله اللام زائدة والله لفظ جلالة اسم مجرور بحاش وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره ، وقال صاحب الكشاف : «حاش تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء وهي حرف من حروف الجر

1) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 45 .

2) ينظر : هيفاء عثمان عباس ، زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه في البلاغة ، إشراف : محمد محمد أبو موسى ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا العربية ، فرع البلاغة ، 1996 م ، ص 685 – 686 .

3) ينظر : إبراهيم بن الخطيب الموزعي ، مصابيح المغاني في حروف المعاني ، تح : عايض بن العمري ، دار المنار ، ط 01 ، 1993 م ، ص 240 .

فوضعت موضع التنزيه والبراءة ، فمعنى (حاش لله) : براءة الله وتنزيه الله » [1] ، ثم أضاف معنى التعجب من عزة يوسف– عليه السلام – ومن نزاهته عن الريبة [2] وعليه يكون الحرف (حاش) قد عبّر أيما تعبير عن شخصية يوسف – عليه السلام – من الناحية الداخلية النفسية وهي تنزيه واستثناء من كل وساوس النفس الخبيثة ، والبراءة من الرذيلة ، كما ظهرت صفته الخارجية الظاهرية حين وصفته نسوة المدينة بأنّه ملك كريم وليس من البشر في قوله تعالى :﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 31] «أي ما هو إلا ملك من الملائكة ، فإنّ هذا الجمال الفائق والحسن الرائع مما لا يكاد يوجد في البشر » [3] وأكّدت النسوة هذا الوصف باستعمال أداتين للنفي في هذه الآية الكريمة هما (ما) : «نافية تعمل عمل ليس واسم الإشارة (هذا) اسمها بشرا خبرها والجملة وما قبلها مقول القول (إن) حرف نفي ، هذا (الها) للتنبيه و(ذا) اسم إشارة مبتدأ (إلاّ) أداة حصر (ملك) خبر (كريم) صفة الملك والجملة مقول القول» [4] وجرى هذا الخبر الذي يفيد التعجب والدهشة على لسان النسوة اللاتي في المدينة .

وهكذا فقد كان لحروف المعاني دور هام في إبراز سمات شخصية يوسف – عليه السلام – سواء الخارجية منها أو الداخلية التي تمّ الوقوف عليها في هذا المقام أم لم يتم والتناسب الوظيفي الجمالي البلاغي بين تلك الحروف ودلالتها في التصوير الفني لهذه الشخصية في كل ما تحمل من صفات نبيلة وحميدة اجتمعت في شخص يوسف – عليه السلام – من شرف ، صدق

1) الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج 02 ، دار الفكر ، بيروت ، (د ط) ، (د ت) ، ص 317 .

2) ينظر : المرجع نفسه ، ص 317 .

3) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 49 .

4) أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 86 .

طهارة عفة ، حكمة ، قوة ، إرادة ، صبر وإحسان ... بالإضافة إلى ما كرمه الله به من جمال الخلقة جعله يتربع على عرش الصالحين ، ويترفع عن البشر ويحض بنبوة الأنبياء [1] .

بناءا عليه فإنّ هذه الحروف قد كشفت الستار عن الخصائص الداخلية النفسية والأخلاقية لسيدنا يوسف – عليه السلام – وبيّنت السمات الخارجية الجسمية من جمال وحسن حظه عليه السلام ، ومنه فالنص اللغوي للقصة برهن على قيام الشخصية في القصة القرآنية قبل أن تكون أحد مقوماتها الفنيّة .

ب– شخصية يعقوب – عليه السلام – :

وإلى جانب شخصية سيدنا يوسف تظهر إلى جوارها شخصية يعقوب – عليه السلام– وقد كان لحروف المعاني الدور الجلي في وصف هذه الشخصية خاصة من الناحية النفسية فنجد:

– **حرف اللام** في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة يوسف الآية 5] ، «الفاء سببية ويكيد منصوب بأن مضمرة لأنه وقع جوابا للنهي ، والواو فاعل و لك متعلقان بيكيد» [2] فاللام في (لك) لتأكيد صلة الفعل المفعولة كقولك : شكرت لك والملاحظ من هذا المشهد أن يعقوب قد تحركت مشاعره وأحاسيسه وبدأ الانفعال ظاهرا على ملامحه حين حدثه يوسف برؤياه ، فقد بدا الخوف والقلق يعتريانه [3] وعليه يظهر البعد النفسي من خلال خوف يعقوب من كيد إخوة يوسف له ويتبين في قوله تعالى على لسان يعقوب ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [سورة يوسف

1) ينظر : محمد الغزالي ، عقيدة المسلم ، دار القلم ، دمشق ، ط 10 ، 1999 م ، ص 201 .

2) محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، مج 04 ، ص 450 .

3) ينظر : إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى ، الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم ، إشراف : عودة عبد الله ، رسالة ماجستير في أصول الدين ، جامعة النجاح الوطنية ،كلية الدراسات العليا ، نابلس فلسطين ، 2009 م ، ص 170 .

الآية 13] فالإحساس بالخوف والقلق ظاهر محقق بما أشار إليه إظهاره النون وإثباته لام الابتداء وأتى بهذه اللام للتأكيد ولتخصيص المضارع بالحال ، أخبرهم بأنه يحزن لغيبة يوسف عنه لفرط محبته له وخوفه عليه [1] فاللام وإنّ وياء المتكلم كلها تؤكد حزن يعقوب لحظة طلبهم يوسف منهم ، كما يؤكد على مدى تعلق الوالد بولده .

- ويؤدي حرف **الباء** بمعنى الإلصاق في هذه الآية دورا كبيرا في التعبير عمّا يختلج نفس يعقوب - عليه السلام - من همّ شديد على فراق يوسف وخوفه عليه من الذئب في غفلة من إخوته إن (الباء) هنا أدل على تصوير موقف يعقوب الهالع الخائف على ابنه حتى تشعر بقلبه يكاد ينخلع لذهابهم بهم حزنا عليه [2]، فـ(الباء) تلصق ذهابهم به وتفيد معنى المصاحبة على معنى أنه يكون لصيقا بهم وهم مصاحبون له .

- أما حرف الإضراب **بل** : فقد كان له دور كبير في قوله تعالى﴿ وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [سورة يوسف الآية 18] حيث يتضح من الآية الحالة النفسية التي كان عليها يعقوب - عليه السلام - لما تلقى خبر افتراس الذئب لابنه يوسف ، فصبر على مصائبه واستعان بالله على ذلك ، وعبّر بحرف الإضراب "بل" إبطالا لدعواهم أنّ الذئب أكله ، فقد صرح لهم بكذبهم بأن زينت لهم أنفسهم ليحصل لهم ما بيتوه بينهم [3] فكان قوي الثقة بالله مطمئنا حق الاطمئنان إلى موعد ربّه متفائلا به وهو ما أكّد عليه الحرف (بل) .

1) ينظر : المرجع نفسه ، ص 170 .

2) ينظر : هيفاء عثمان عباس ، زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، ص 364 .

3) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف - عليه السلام - ، ص 117 .

- كما أفاد حرف الاستفهام **هل** في قوله تعالى﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة يوسف ، الآية 64] معنى وغرض الاستفهام الإنكاري الذي يحمل معنى النفي «هل: حرف استفهام، وآمنكم مضارع فاعله مستتر والكاف مفعوله والجملة مقول القول» [1] فصيغة الاستفهام صدرت عن يعقوب – عليه السلام – لما طلب منه أبناؤه إرسال أخيهم الأصغر معهم ، فرد عليهم منكرا فجاء «استفهام إنكاري فيه معنى النفي فهو يستفهم عن وجه التأكيد في قولهم (... وإنا له حافظون)» [2] ، «أي كيف آمنكم على بن يمين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم بعد أن ضمنت لي حفظه ، ثم خنتم العهد فأخاف أن تكيدوا له كما كدتم لأخيه» [3] فقد كان لحرف الاستفهام هل بغرضه الإنكاري دور هام في ترجمة شعور يعقوب – عليه السلام – بعدم اطمئنانه لطلب أبنائه اصطحاب شقيق يوسف .

- وكذلك ما كان لحرف النداء **الياء** في قوله : ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [سورة يوسف ، الآية 84] فصيغة النداء "يا أسفا" جاءت لإظهار التوجع والتفجع لما فيها من رفع للصوت والبوح بما يكبت في النفس من ألم وحسرة على يوسف ونادى الأسف على سبيل المجاز ، «والتجانس بين لفظي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعا على غير مستعمل فيبدع ويلمح ، وهذا القول خرج مخرج الندبة وقوله (وهو كظي م) جملة اسمية والفاء للاستئناف أي مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم» [4] .

1) أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 95 .

2) محمد الطاهرين عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 12 13 ، ص 16 .

3) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 58 .

4) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 195 .

- وجاءت **من** بالكسر وهي من حروف الجر وقد تأتي بمعنى التبعيض [1] وذلك ما يظهر في قوله تعالى﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة يوسف ، الآية 87] ، يلفت الفعل (تحسسوا) ودلالته إلى نفسية الأب ، وقد علمنا أنه ذهب سواد عينيه ، وبعد مضي مدة طويلة على فقد يوسف من العسير العثور عليه فكأنهم في البحث عنه يشبهون من يفقد البصر ويفتش عن الشيء في متاهة مظلمة واستعمال (من) يدل على تشوقه لأي خبر عن يوسف يفضي إلى حضوره وكذا الأمر مع أخيه [2] ، فإن قيل كيف (قال من يوسف) والغالب أن يقال تحسست عن كذا ؟ فعنه جوابان ذكرها "ابن الأنباري" :

- أحدهما أن المعنى عن يوسف ولكن ثابت عنها من كما تقول العرب : حدثني فلان من فلان يعنون عنه .

- والثاني : أنّ من أوثرت للتبعيض والمعنى تحسسوا حبرا من أخبار يوسف [3] ، وهنا تكون (من) قد بيّنت الحالة النفسية وهو الشوق الكبير الذي يحمله سيدنا يعقوب لابنه يوسف فهو يقنع حتى ببعض من أخباره عليه السلام .

- جاءت **إنّ** و **ال** في قوله تعالى﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة يوسف الآية 98] ففي قول يعقوب – عليه السلام – ثلاث توكيدات : الأول بأداة إنّ ، والثاني بكلمة هو ، والثالث بأداة التعريف "ال" ، وكلها ليبين – عليه السلام – لأولاده بأنّ مغفرة الله واسعة

1) ينظر : إبراهيم بن الخطيب الموزعي ، مصابيح المغاني في حروف المعاني ، ص 456 – 457 .

2) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة في سورة يوسف – عليه السلام – ، ص 393 .

3) ينظر : المرجع السابق ، ص 396 .

رغم عظم الذنوب التي آتوها [1] فظهر في صورة الأب الحنون المشفق من خلال تعدد هذه المؤكدات وتنوعها .

وبالتالي فإنّ الأحداث التي مرّت بيعقوب – عليه السلام – كشفت عن الأبعاد الداخلية لشخصيته المتمثلة في حبّه الشديد ليوسف وخوفه عليه تحمله بالصبر عن مصابه فيه ، تجدد مصابه وتحسره عليه حتى فقد بصره ، قوة إرادته وثبات قيمه الإيمانية ، خوفه على أبنائه المذنبين وتجاوزه على أخطائهم ، الواثق بربه وموعد فرجه عز وجلّ .

ج– شخصية امرأة العزيز :

لم تُسَمَّ امرأة العزيز في القصة باسم علم بل نُسِبت إلى لقب زوجها في الدولة ، وذلك ليشير السياق إلى الطبقة الاجتماعية الحاكمة التي تنتمي إليها فيظهر مدى سلطانها وأثر البيئة على سلوكها ، وقد تطرق القرآن الكريم إلى البعد النفسي دون الجسمي لهذه الشخصية من عشق وكذب وضلال وكيد وتبرير في تناسق وتأييد للبعد الاجتماعي من سلطان وجاه ونفوذ وقد شاركت حروف المعاني المختلفة في التعبير عن ذلك كله مثاله ما نجده في حرف اللام في قوله تعالى ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 23] فاللام حسب ما وجدها المفسرون تفيد التبيين عندما ترد بعد أسماء الأفعال والمصادر التي تشبهها لتبيين صاحب معناها وهنا جاءت لبيان المهيت به [2] ، «يخبر الله تعالى امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه ، فراودته عن نفسه أي حاولته عن نفسه ودعته إليها ، وذلك أنها أحبته حبا

1) ينظر ، المرجع نفسه ، ص 427 .

2) ينظر : محمود أحمد الصغير ، الأدوات النحوية في كتب التفاسير ، دار الفكر ، دمشق ، ط 01 ، 2001 م ، ص 522 .

شديدا لجماله وحسنه وبهائه فحملها ذلك أن تجملت له وغلقت الأبواب ودعته إلى نفسها [1] وهنا تجلى دور (عن) بكل بلاغة للكشف عن النوايا التي حملتها هذه المرأة ونفذتها للوصول إلى ما تريد .

- كما كان لحرف الجر **عن** أيضا دور مهم في هذه الآية حيث جاءت بمعنى المجاورة [2] أي راودته مباعدة له عن نفسه أي أن يجعل نفسه لها ، والظاهر أن هذا التركيب من مبتكرات القرآن ، فالنفس هنا كناية عن غرض المواقعة فكأنها تراوده عن أن يسلم إليها إرادته وحكمه في نفسه [3] .

ومع أنّ يوسف – عليه السلام – امتنع عن فعل السوء إلاّ أنّها أسرت وألحت على الوصول إلى مبتغاها ، وأسرعت وراءه – عليه السلام – لمنعه من الفرار منها مما أدى إلى تمزيق قميصه – عليه السلام – إنها شخصية عنيدة لا تعترف بالهزيمة ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 25] وارتدت القناع البريء في فترة خاطفة أثناء رؤية زوجها تستدرك به الموقف وتظهر بصورة المرأة المظلومة إنها امرأة ذكية سريعة الحيلة في المواقف الحرجة (واستبقا الباب) ففي الكلام حذف حرف جر تقديره : واستبقا إلى الباب ، وجاء الحذف في هذا الموضع لغرض المبالغة وتصوير المراد من السبق في جانبها وهو الإسراع إثره .

1) ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مج 02 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 2004 م ، ص 447 .

2) ينظر : إبراهيم بن الخطيب الموزعي ، مصابيح المغاني في حروف المعاني ، ص 275 .

3) ينظر : محمد الطاهرين عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 12 ، ص 250 .

- ونجد في الآية الكريمة صيغة الاستفهام ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾[سورة يوسف الآية 25] التي تخرج عنه إلى غرض النفي «عندما إلتقت سيدها وهو زوجها عند الباب فخرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها ، وقالت لزوجها متنصلة وقاذفة يوسف بدائها » [1] .

وراحت تصر على مبتغاها رغم انتشار خبرها في المدينة ونستشعر هذا الإصرار من خلال «الألف التي جاءت بدلا من نون التوكيد الخفيفة المحذوفة في قوله تعالى﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 32] جاءت الألف للتوكيد» [2] .

ومع ذلك فإنها استدركت خطأها واعترفت بذنبها وطمعت في مغفرة الله ورحمته ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[سورة يوسف ، الآية 53] وكان لحروف المعاني دور مهم في هذه بدءًا بـ(واو الحال) إلى (ما النافية) واستخدام التوكيد بـ(إنّ) و(اللام المزحلقة) ، وأداة الاستثناء «فهو استثناء منقطع عما قبله ، أي الذي رحمه الله بالعصمة كالملائكة» [3] ، كما ساهمت بشكل أساسي في رسم ملامح هذه الشخصية من الناحية الداخلية مع تركيزها على الخارجية منها .

ويتضح من خلال هذه الشخصية جانبي الهداية والضلال وبذلك تمثل النموذج الإنساني الحقيقي .

1) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مج 02 ، ص 449 .

2) إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ، ص 08 .

3) الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج01 ، ص 475 .

د- شخصية إخوة يوسف (بنو إسرائيل) :

تتمثل في مجموعة بشرية وجاءت تسميتهم بنسبهم إلى أخيهم يوسف أو أبيهم يعقوب – عليهما السلام – ، وكانت علاقتهم بأخيهم يوسف علاقة مضطربة ، وبهذا يكون القصص القرآني قد أشار إلى نقطة مهمة وهي الصراعات بين الأبناء الناشئة عن الغيرة ، وهذا ما عمل إظهاره القصص القرآني ، وسأتطرق إليه من خلال حروف المعاني وأثرها في الكشف عن المكونات النفسية والصفات الخارجية لهذه الشخصية .

– وتأتي **لام الابتداء** لتكون على لسان إخوة يوسف – عليه السلام – هذا الحب في قولهم : ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[سورة يوسف ، الآية 08] «(ليوسف) اللام لام الابتداء ويوسف مبتدأ» [1] فـ(اللام) الداخلة على المبتدأ تؤكد مضمون الجملة بعدها وتحققه ، فهم أرادوا أن زيادة محبته لهما – عليه السلام– أمر ثابت لا شبهة فيه [2] ، وقد وضحت (اللام) هنا وأكّدت على وحدة إحساسهم هذا وهو ما دفعهم إلى حمل الحِقد والغيظ ليوسف وأخيه —عليهما السلام – وكان دافعا وحافزا لهم لارتكاب ما فعلوه ضدّه عليه السلام ، بالإضافة إلى (إن) فكلاهما أكّدا اقتناعهم واجتماعهم على أن يوسف وأخوه أحب إلى أبيهم منهم .

إن شخصية بني إسرائيل تمثل النموذج الأمثل في الحقد والمؤامرة لأخيهم يوسف – عليه السلام – بعد أن عمت الغيرة العمياء قلوبهم وأبصارهم ، فقد ربطوا محبة أبيهم يعقوب – عليه السلام – لأخيهم يوسف – عليه السلام – بالفردية وقارنوها بجماعتهم ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 08] .

1) أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 79 .

2) ينظر : محمود أحمد الصغير ، الأدوات النحوية في كتب التفاسير ، ص 582 .

– يتبين أنّ فائدة **لام الابتداء** في (ليوسف) تحقيق مضمون الجملة وتأكيده واتبع هذه الآية بالجملة الحالية في قوله (ونحن عصبة) أي والحال أنا جماعة قادرون على الحل والعقد أحق بالمحبة وبعدها جاءت الجملة الاسمية المؤكدة ب"إنّ" (إنا أبانا لفي ضلال مبين) ، والخبر هنا لإظهار نواياهم الخبيثة وما جبلوا عليه من حقد وكراهية لمحبته إياهما أكثر منهم [1] فما ذكر من حروف دلّ على البعد النفسي لهذه الشخصية وهو غيرتهم من يوسف وأخيه وحسدهم لهما.

وراحوا يستخدمون أساليب المراوغة لطمأنة أبيهم على يوسف في صحبتهم بالإشارة إلى قوتهم الجسمية وعددهم ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾[سورة يوسف الآية 14] «(لئن) فاللام موطئة للقسَم وإن شرطية (أكله الذئب) ماضي وفاعله المؤخر ومفعوله المقدم والجملة ابتدائية (ونحن عصبة) ، الواو حالية ومبتدأ وخبر الجملة حالية (إنّا) إن واسمها (إذا) حرف جواب (لخاسرون) اللام المزحلقة وخاسرون خبر مرفوع بالواو لأنّه بالواو ولأنه جمع مذكر سالم والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب وجواب الشرط محذوف» [2] .

يتضح في هذه الآية استمالة إخوة يوسف – عليه السلام – لأبيهم عن طريق المغالطة في الحوار والادعاء الكاذب بمحبة الأخ وتعليمه وتسليته [3] فكل من اللام الموطئة للقسم وإن الشرطية وإنّ واللام المزحلقة جاءت لتأكيد ادعائهم وإبعاد الشبهة عنهم وزيادة الإغواء والاستمالة لأبيهم .

– ويتجلى دور وأثر **من** التي جاءت للتبعيض في قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 20] جار ومجرور فكان لحرف الجر بعدا بلاغيا ذكره

1) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 185 .

2) أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، 81 .

3) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، ص 93 .

صاحب التحرير والتنوير قائلا : «وصوغ الأخبار عن زهادتهم فيه وبصيغة (من الزاهدين) أشد مبالغة مما لو أخبر بـ: (كانوا فيه من الزاهدين) ، لأن جعلهم من فريق الزاهدين يُنْبأ بأنهم جروا في زهدهم في أمثاله على سنن أمثالهم البسطاء الذين لا يقدرون نفائس الأمور [1] ، وقد كشفت (من) هنا عن سذاجتهم وجهلهم لقيمة ما عندهم.

– كما كان لحرف الجر **اللام** دور كبير في قوله تعالى ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 58] «إنّ إخوة يوسف لم يعرفوه ملامحا وشكلا فحسب وإنما أنكروا وجوده أصلا كما تنكر على المرء سلوكا أو فعلا أتاه ، فقد قدم سبحانه الجار والمجرور (له) في قوله (وهم له منكرون) لإظهار أي شعور يحملونه نحوه ، التجاهل وعدم الرغبة في وجوده فقد سبق منذ سنين أن كادوا له وألقوه في غيابات الجب ، فظنوا أنه قد مات وانتهى به السبيل إلى بلد بعيد» [2] ، فبضل (اللام) تبيّن شعورهم تجاهه قبل رؤيته – عليه السلام – .

– وكان **للام الناهية** أثر أشار إلى الصفة الجسمية لهذه الشخصية في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة يوسف ، الآية 67] فاللام الناهية عبّرت عن خوف يعقوب – عليه السلام – على أبنائه «فأمر بنيه لما جهزهم مع أخيهم بن يمين إلى مصر أن لا يدخلوا كلهم من باب واحد وليدخلوا من أبواب متفرقة وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة

1) ينظر : محمد الطاهرين عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 12 ، ص 244 .

2) عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، ص 311 .

حسنة ومنظر وبهاء فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم» [1] ، فالنهي هنا كان بدافع الخوف والحرص على سلامتهم وبذلك كان لغرض النصح والإرشاد لهم .

وهكذا فقد كان لحروف المعاني أثر وظيفي ودلالي واضح في التعبير والتصوير الفني لشخصية (بني إسرائيل) وما اتصفت به من حسد وخداع وإجرام ، عقوق ، كذب ، احتيال كان منبعها الغيرة بين الأبناء ، إلاّ أنهم في الأخير وقفوا موقف الندم وطلب المغفرة﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 97] فجملة صفات هذه الشخصية تحمل دلالات توحي بنفسية البشر العادية التي تمتزج فيها مشاعر الخير والشر ؛ وغالبا ما تكون الغلبة فيها للخير نظرا للطبيعة التي فطر عليها الإنسان منذ أن وجد على أرض المعمورة .

03/ الحوار

يضفي الحوار على القصة حيوية وحركة ، فهو الروح التي تسري في كيان العمل القصصي وبدونها يتحول هذا العمل إلى كتلة باردة متحجرة من الكلمات ، وللحوار في القصص القرآني سمة خاصة لا نجد لها أثرا في القصص الأدبي على الإطلاق ، وهي تلك الذاتية التي يحتفظ بها هذا الحوار لشخصية المتحاورين [2] .

ولعل أوضح مثال على ذلك الحوار ما نجده في قصة يوسف – عليه السلام – وبأشكال عدّة ستعرب مع بيان دور وقيمة حروف المعاني في قيامه .

1) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مج 02 ، ص 457 .

2) ينظر : عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 02 ، 1975 م ، ص 123 – 129 .

أ- المخاطِب (فرد) والمخاطَب (فرد) :

- طرفا الحوار يوسف ويعقوب - عليهما السلام - قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 04 – 05] نلاحظ أنّ صيغة النداء جاء في الآية الكريمة (يا أبت) «(يا) : حرف نداء و (أبت) منادى مضاف إلى (يا) المتكلم التي حذفت وعوضت عنها التاء المكسورة» [1] لها دور كبير في لغة يوسف - عليه السلام - لانتباه أبيه مع كونه حاضرا مما يوحي على أهمية الخبر الذي سيخبره به.

يقول "ابن عاشور" :«والنداء في الآية مع كون المنادى حاضرا ، مقصود به الاهتمام بالخبر الذي سيلقى إلى المخاطب فينزل المخاطب منزلة الغائب المطلوب حضوره وهو كناية عن الاهتمام أو استعارة له» [2] فموضوع هذا الحوار إخبار يوسف - عليه السلام - أباه عن رؤياه والأب بدوره ينصحه بعدم إخبار إخوته عن هذه الرؤيا ويحذره من كيدهم (لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا) فاللام ناهية على سبيل النصح والإرشاد (فيكيدوا لك كيدا) الفاء سببية [3] وضّحت علة هذا النهي النصح والإرشاد ، وحرف (اللام) الذي تعدى به الفعل كاد أفاد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن ، فيكون أكادوا أبلغ في التخويف [4] ، كلّها أثّرت في الحوار وكثّفت من دلالته الخفيّة والظاهرة وكذا مراميه .

1) محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، مج 04 ، ص 450 .

2) محمد الطاهرين عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 12 ، ص 207 .

3) ينظر : محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، مج 04 ، ص 450 .

4) ينظر : محمود أحمد الصغير ، الأدوات النحوية في كتب التفاسير ، ص 716 .

-كما نجد الحوار بين الساقي ويوسف – عليه السلام – في قوله تعالى:﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 46] حيث طلب الساقي من يوسف عله السلام تفسير رؤيا الملك فيفسرها له ، أفادت لعل : التعليل بمعنى كي [1] تأويل الرؤيا في هذا المقام ، وقيل (لعلهم يعلمون) منزلتك في العلم ولأنه طمع أن يعلموا وأشفق أن لا يعلموا ، لذلك قال (لعلهم يعلمون) يعني تأويلها ولم يكن ذلك منه شكا في علم يوسف ، لأنه قد وقر في نفسه علمه وصدقه ولكن تخوف أحد أمرين : إما أن تكون الرؤيا كاذبة وإما لا يصدقوا تأويلها لكراهتهم له فيتأخر الأمر إلى وقت العيان وذكر "ابن الأنباري" في تكرير (لعل) قولين :

* أحدهما أنّ لعل الأولى متعلقة بالإفتاء والثانية مبنية على الرجوع وكلتاهما بمعنى كي .

* والثاني أنّ الأولى بمعنى عسى والثانية بمعنى كي فأعيدت لاختلاف المعنيين [2] ، ويبقى دورها بارزا في تقديم التعليل مع الطلب حرصا على تلبيته وتحقيق ما جاء من أجله .

– والخطاب بين يوسف وأخيه بن يمين في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 69] فيوسف – عليه السلام – يكشف عن هويته لأخيه ويطمئنه بأنه أصبح في أيدي آمنة يتضح ذلك من خلال أداة النهي (لا) التي دخلت على الفعل المضارع تبتئس من البؤس وهو الهم والحزن ، والنهي عن الابتئاس مقتضى الكف وفي هذا تهيئة لنفس أخيه لتلقي حادث الصواع باطمئنان حتى لا يخشى

1) ينظر : إبراهيم بن الخطيب الموزعي ، مصابيح المغاني في حروف المعاني ، ص 396 .

2) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، ص 257 – 258 .

أن يكون محل الريبة من يوسف – عليه السلام – [1] ، وقد أظهرت (اللام) هنا مدى حب يوسف – عليه السلام – لأخيه وقوّة العلاقة بينهما في هذا الحوار والذي ساهمت هذه الحروف إثرائه وتنوع غاياته .

ب– المخاطِب (فرد) والمخاطَب (فردان):

– طرفا الحوار : يوسف – عليه السلام – والسجينين نحو قوله تعالى : ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 37] يخبر يوسف – عليه السلام – السجينين عن قدرته في تفسير الرؤى ، ويتضح أن الحرف إلا من القصر (فهي أداة حصر) [2] حيث خصص يوسف – عليه السلام – تأويل منامي صاحبي السجن بإتيان الطعام ، وقصد إلى هذا التخصيص لزيادة إقبالهما عليه فيستغله في دعوتهما إلى الصراط المستقيم وإلى العقيدة السوية ، وهذا من حنكته وفطنته – عليه السلام – في انتهاز الفرص المتاحة بل خلقها من أجل تبليغ دعوته الحق [3] وقد صبغت أداة الحصر (إلا) هذا الحوار بقوّة الجذب ولفت الانتباه والتأثير في السامع ليكون بذلك حوارا ناجحا مؤثرا محققا لمقاصده .

كما دعاهما إلى عبادة الله الواحد القهار وترك عبادة الأوثان ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 39] ، فصيغة النداء باستعمال الحرف (ياء) كانت في خطاب يوسف – عليه السلام – للفتيين «بطريق النداء المستدعي سمعهما

1) ينظر : المرجع نفسه ، ص 340 .

2) ينظر : أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 88 .

3) ينظر : عزوز سطوف ، بلاغة مقام القص القرآني –سورة يوسف أنموذجا – ، رسالة ماجستير ، جامعة منتوري قسنطينة ، إشراف: عمار ويس 2009 – 2010 م ، ص 122 .

إلى ما يقول للاهتمام به » [1] ويتبين أن الاستفهام (بحرف الهمزة) قد خرج في هذا المقام عن غرضه الأصلي وهو طلب العلم إلى غرض التقرير لأنّ يوسف – عليه السلام – يعتقد اعتقادا جازما بأن هناك ربا واحدا فأراد تقرير هذه الحقيقة التي يعتقدها وجاء هذا التقرير بصيغة الاستفهام لما يحمل من إعمال فكر في المسئول عنه [2] .

وهو استفهام على سبيل الإنكار التقريري المراد به تقرير إبطال دينهما [3] ونجده يفتتح خطابه لهما بالنداء أيضا في قوله تعالى ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ ﴾[سورة يوسف ، الآية 41] وذلك اهتماما لما يلقيه إليهما من التعبير ، وقال (يا صاحبي السجن) لتجمع أنفسهما إلى سماع الجواب [4] . كلها حروف وظفت استمالة السامع وترغيبه فيما يُلقى عليه فكانت محركا ومغذيا لهذا الحوار وقيامه كأحد أسس بناء القصة القرآنية .

– طرفا الحوار : يوسف – عليه السلام – والسجينان لقوله عزّ وجلّ : ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ ﴾[سورة يوسف الآية 41] نلاحظ أن لحرف النداء دورا كبيرا في إقامة هذا الحوار ، ذلك أنّ يوسف – عليه السلام – نادى صاحبيه في السجن ليعبر لهما ما رؤياه في منامهما فاستفتح خطابهما بالنداء لينتبه لما سيلقي عليهما من خبر جديد باهتمام كما خاطبهما بـ (صاحبي) ليشعرهما بأنه مهتم بأمرهما حريص على إفاء ما وعدهما من تأويل مناميهما لأن ذلك من حق الصحبة [5] لهذا

1) محمد الطاهرين عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 12 ، ص 274 .

2) ينظر : عزوز سطوف ، بلاغة مقام القص القرآني –سورة يوسف أنموذجا – ، ص 120 .

3) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، ص 228 .

4) ينظر : المرجع نفسه، ص 333 – 335 .

5) ينظر : عزوز سطوف ، بلاغة مقام القص القرآني –سورة يوسف أنموذجا – ، ص 119 .

استدعى هذا الحال أن يكون النداء هو الصفة المخصوصة التي يخاطب بها يوسف – عليه السلام – صاحبيه في السجن .

ج– المخاطِب (فرد) والمخاطَب (جماعة) :وقد بدا ذلك في أشكال نذكر منها :

– طرفا الحوار الأخ الأكبر وإخوة يوسف مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [سورة يوسف الآية 10] : يتضح أنّ صيغة النهي (لا تقتلوا يوسف) »لا ناهية ومضارع مجزوم بحذف النون والواو فاعل ويوسف مفعوله والجملة مقول القول (وألقوه) الواو عاطفة وأمر وفاعله ومفعوله والجملة معطوفة» [1] كانت لغرض النصح والإرشاد من أحد إخوة يوسف يقترح على إخوته إلقاء يوسف في الجب بدلا عن قتله وكانت الواو حرف عطف عطفت البديل وهو إلقائه في غيابة الجب بدل قتله لأن كلاهما سيحقق إبعاد يوسف عنهم لكن الحل الثاني هو الأصوب .

– طرفا الحوار : يعقوب مع أبنائه كما جاء في قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 13] ففي قصة يعقوب – عليه السلام – يبدو همه الشديد على فراق يوسف وخوفه عليه من الذئب وهم في غفلة عنه وهذا الشعور أكده لأبنائه في خطابه لهم باستعمال حرف اللام المزحلقة التي دخلت على الفعل المضارع (يحزنني) لتأكيد وتخصيص المضارع بالحال ، فأخبرهم وأكد لهم أنّه يحزن لغيبة يوسف عنه لفرط محبته له وخوفه عليه [2] .

1) أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 80 .

2) ينظر : إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى ،الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم ، ص 170 .

- طرفا الحوار : يوسف – عليه السلام — وإخوته في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 89] فيوسف – عليه السلام – يذكر إخوته بما فعلوه به وأخيه مستعملا أداة الاستفهام هل ، فجاءت صيغة الاستفهام لتخفيف وقع القول عليهم أي هل علمتم قبح ذلك العمل الذي عملتموه مع يوسف وأخيه؟ وقبل أن يتمم الجملة ختمها بكلمة اعتذار عنهم وهي قوله (إذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبحه فلذلك قدمتم عليه ، أي هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه؟ لأن الاستقباح يجر إلى التوبة وعليه بيّن الاستفهام غرض التذكير والتوبيخ [1] ، وقد أدى دورا فعالا لأنّه حمل العطف والرحمة لهم عندما خفف عنهم وقع القول والتذكير والتوبيخ عمّا فعلوه به بكل ما يملكه الحوار من رقي وتسام .

- طرفا الحوار : الملك مع حاشيته عندما قص رؤياه على الكهنة والسحرة وكبار دولته وطلب منهم تفسيرها كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾[سورة يوسف الآية 43] ، لقد أفزعت الرؤيا الملك وقضت مضجعه فهرع إلى الملأ من الأشراف والنبلاء طالبا منهم كشف رؤياه قائلا لهم (في رؤياي) مقيدا إياها بقيدين : حرف الجر (في) الذي يحدد لهم موطن الجواب فلا يحيدون عنه ، وبإضافة الرؤيا إلى ضميره تعريفا ؛ لأنها رؤياه التي أرقته وأفزعته تعظيما لشأنها وبيانا لأثرها في نفسه .

1) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، ص 405 .

وتلوح بوادر عدم ثقة الملك في الملأ كشف عنها التعبير بحرف الشك (إن) ويبدو أنه كان عجلا غير ريث في تفسيرها فقدمها على عاملها عناية بها واهتماما بشأنها — أي الرؤيا- وغاية التقديم هنا إظهار شدّة لهف الملك في حل رموز الرؤيا ، ويرجع هذا المعنى إلى تعدية الفعل باللام والتي تجسد اختصاص الرؤيا بالعبارة عنها وتؤذن بإحساس الملك بضعف النفوس التي تفقد صفاء عقلها لفقدها صفاء إيمانها ، وكيف تفزعها حتى الرؤيا والأحلام [1] ويتضح من توظيف (إن) كذلك نفي الشيء بإجابه للتدليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها لأنه أتى بكلمة (إن) التي تفيد التشكيك رجاء اعترافهم بالقصور ، مطابقا لشكه الذي أخرجه مخرج الاستفهام عن كونهم عالمين بالرؤيا أولا [2] ، ولم يكن ليقوم الحوار على ما هو عليه من المعاني لولا وجود هذه الحروف وأدائه لمعاني متعددة حسب الغرض الذي سيقت من أجله.

د- المخاطِب (جماعة) والمخاطَب (جماعة)

- طرفا الحوار: إخوة يوسف - عليه السلام - وفتيته في قوله تعالى :﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 73] ، فهو حوار بين إخوة يوسف وفتيته حول صاع الملك المفقود ، فردوا بصيغة القسم (تالله) بأنهم ليسوا سارقين و (التاء حرف جر تأتي للقسم مع التعجب وقد تخلو منه ، وتختص باسم الله تعالى » [3] وجيء بها في هذا الموضع لمعنى التعجب ، كأنهم تعجبوا من رميهم بما ذكر مع ما شاهدوه من حالهم فقد روي أنهم كانوا يكلمون أفواه إبلهم لأن لا تنال من زروع الناس وطعامهم شيئا ، وأشتهر أمرهم في مصر بالعفة والصلاح والمثابرة على فنون الطاعات [4] لذا قالوا (لقد علمتم) حيث أفاد حرف (قد) تحقيق تلك

1) ينظر : هيفاء عثمان عباس ، زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، ص 682 – 684 .

2) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف - عليه السلام - ، ص 244 .

3) إبراهيم بن الخطيب الموزعي ، مصابيح المغاني في حروف المعاني ، ص 220.

4) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف - عليه السلام - ، ص 349 .

الشمائل عندما دخلت على الفعل الماضي (علمتم) وزادوا تأكيدهم على نزاهتهم وبراءتهم بما النافية [1] بقولهم (ما جئنا) لنفي وإبعاد ما رموهم به وكذلك لام التعليل [2] في قولهم (لنفسد) كلها أفادت تأكيد علمهم علما جازما مطلقا للواقع الذي هم عليه وما اتهموا به .

هـ- المخاطِب (جماعة) والمخاطَب (فرد) :

- طرفا الحوار الأبناء والأب كما جاء في التنزيل : ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 11] ، أبناء يعقوب - عليه السلام - يطلبون منه أن يثق بهم ويسمح لهم بأخذ يوسف - عليه السلام - معهم للبرية ، واستفتحوا خطابهم هذا بالنداء (يا أبانا) عندما أحكموا العزم على ارتكاب فعلتهم ، وأظهروا له أنهم في غاية المحبة ليوسف - عليه السلام - والشفة عليه ليستنزلوه عن رأيه في تخوفه منهم مستخدمين صيغة الاستفهام (ما لك لا تأمنا على يوسف) مستنكرين عدم أمن أبيهم لهم معاتبين له مؤكدين رعايتهم له وشفقتهم عليه بواو الحال (وإنا) ولا الاختصاص (له) واللام المزحلقة (لناصحون) بل ألحوا على ذلك قَالُوا لَئِنْ ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 14] فهم حاولوا استمالة أبيهم عن طريق المغالطة في الحوار والادعاء الكاذب بمحبة الأخ وتعليمه وتسليته وكان لدخول (اللام) على (إن) الشرطية فائدتان الأولى إضمار القصد والثانية الالتزام بالوعد [3] .

ونجد ما النافية [4] في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾[سورة يوسف

1) ينظر : أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 98 .

2) ينظر : المرجع نفسه ، ص 98 .

3) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف - عليه السلام - ، ص 93 - 95 .

4) ينظر : أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 95 .

الآية 65] «أي ماذا نبغي؟ وأي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا ؟ » [1] عندما فتحوا الأوعية التي وضعوا فيها الميزة وجدوا ثمن الطعام في متاعهم فيحتمل أن تكون (ما) استفهاما ، قاله "قتادة" : ونبغي من البغية : أي ماذا نطلب بعد هذه التكرمة ؟ هذا مالنا ردّ إلينا مع ميرتنا .

وقال "الزجاج" : ويحتمل أن تكون ما نافية أي ما بقي لنا ما نطلب ، و(نبغ) من البغي أي ما تعدينا فكذبنا على هذا الملك ولا في وصف إجماله وإكرامه هذه البضاعة ردت إلينا [2] وذهب "الفرّاء" بأنّها استفهام بمعنى النفي أي لسنا نريد منك دراهم [3] أيا كانت نافية أو استفهامية لقد كان لها قيمة وظيفية ودلالية كبيرة في إدارة الحوار والتعبير عن المكنونات بإيجا ز وبلاغة .

ويتضح في خطابهم لأبيهم أيضا عندما قالوا﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 85] شفقتهم وخوفهم على أبيهم من الهلاك من ذكر سيرة قد طالت ويتبين حذف لا النفي قبل الفعل المضارع الناقص (تفتأ) فالمعنى لا تفتأ في حال كونك تذكر يوسف – عليه السلام – أي لا تبرح [4] وحذف لا النافية من تفتأ يعني امتناع توكيد الفعل الواقع جوابا للقسم وذلك مع الفعل المنفي ، لأنّ المقصود من هذا اليمين الإشفاق على يعقوب لأنه صائر إلى الهلاك الذي يؤكده حرف الغاية (حتى) بسبب عدم تناسيه مصيبة يوسف – عليه السلام – .

1) علي محمد الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 59 .

2) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، ص 323 .

3) ينظر : محمود أحمد الصغير ، الأدوات النحوية في كتب التفسير ، ص 659 .

4) ينظر : محمد الطاهرين عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 12 ، ص 11 – 44 .

– طرفا الحوار : إخوة يوسف ويوسف – عليه السلام –كما في الآية الكريمة: ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 90] وهم يكتشفون هويته ويتعجبون من ذلك ، وقد بينت همزة الاستفهام [1] استعظامهم لهذا الموقف أي أنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه منذ زمن وهم لا يعرفونه فهو استفهام استغراب ودهشة جمعوا له من أدوات التوكيد (إن) واللام المزحلقة فقد كان يكفي أن يقال مثلا (أأنت يوسف) لولا التعبير عن نفوسهم بدقة ولولا خلوا أذهانهم أن يبلغ يوسف هذا المنصب فضلا عن أن يكون حيا [2] «إنه من يتق ويصبر » توكيد جاء في سياق تعليل الجملة (منّا الله علينا) فأراد يوسف – عليه السلام – تعليمهم وسائل التعرض إلى نعم الله تعالى وحثهم على التقوى والتخلق بالصبر تعريضا بأنهم لم يتقوا الله فيه وفي أخيه ولم يصبروا على إيثار أبيهم إياهما عليهم ، وهذا من أفانين الخطابة أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعظة وهي فرصة تأثر السامع وانفعاله وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته [3] واعترف إخوة يوسف بفضل أخيهم عليهم والأثرة بالمال ، المنصب ، الخلق ، النبوة ، وأقروا إليه بأنهم أساءوا وأخطئوا في حقه﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ [سورة يوسف، الآية 91] مؤكدين ذلك بحرف التحقيق (قد) ، وكانت (إن) مخففة [4] تأكيدا بإيجاز للدلالة على الاهتمام بالإبلاغ في الاعتذار بأسرع وقت [5] .

1) ينظر : أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 104 .

2) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، ص 406 .

3) ينظر : المرجع نفسه ، ص 408 .

4) ينظر : أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 104 .

5) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، ص 409 .

وهكذا فقد كان لحروف المعاني الدور الوظيفي والدلالي والبلاغي البالغ الأهمية في قيام الحوار ونجاحه باختلاف مستوياته وعليه استطاع بدوره إعطاء القصة حيوية وحركة بفضل تقديمه للشخصيات والكشف عن أفكارها ومشاعره ا —رسم ملامحها- وتصوير الحدث بحيثياته الزمانية والمكانية .

04/ الصراع

يتولد الصراع داخل القصة القرآنية عندما يشعر شخص أو أشخاص من شخوص القصة بعدم الارتياح إزاء أمر ما فيحاول دفعه عنه ، ويقوى الصراع ويستعر حسب الأسباب والدوافع التي تغذيه .

ودار الصراع العام الذي أطّر قصة يوسف – عليه السلام – ودفعها إلى نهايتها بين شخصياتها وهو صراع قيم ومبادئ أخلاقية حيث نجد الصراع بين يوسف – عليه السلام – وإخوته حيث حسدوه وحقدوا عليه للحب الكبير الذي يكنه أبيهم له﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [سورة يوسف ، لآية 08- 09 -10] من الآية 08 تبدأ الأحداث الفعلية لقصة يوسف بمحاورة بين إخوة يوسف في أمر يشغل تفكيرهم وهو حب أبيهم يعقوب – عليه السلام – ليوسف وأخوه وقد بدءوا مقالتهم بلام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة ، أرادوا أنّ زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه [1] .

1) ينظر : عزوز سطوف ، بلاغة مقام القص القرآني —سورة يوسف أنموذجا – ، ص 56 ، نقلا عن فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، ج 17 ، ص 75 .

– والصراع بين يوسف – عليه السلام – وامرأة العزيز والنسوة : ولعل الوجه من الصراع هو الأعمق والأعنف في حياة يوسف – عليه السلام – ، من مراودة وما تحمله من دلالات التكرار والإصرار على الفاحشة وفرض العقوبات في حال عدم الانصياع ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 32] ، قال "الخليل بن أحمد" أنّ التوكيد بالنون الثقيلة أشد من التوكيد بالخفيفة ، فإنّ امرأة العزيز كانت أشد حرصا على سجنه من كينونته صاغرا [1] ولم تيأس امرأة العزيز بل عاودت الكرّة لكن بصحبة نسوة أخريات حضرن إلى بيتها لتعرض عليهن يوسف فرحن جميعهن يراودنه عن نفسه فما كان منه إلا أن لجأ إلى الله داعيا إياه أن يصرف عنه كيدهن فجاء الفرج سريعا ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33 (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 33- 34] .وعطفت جملة (فاستجاب له ربه) بفاء التعقيب ، إشارة إلى أن الله عزّ وجل عجل إجابة دعائه الذي تضمن قوله ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾ [2] وجملة (إنه هو السميع العليم) في موضع العلة لـ :استجاب المعطوف بفاء التعقيب أي : أجاب دعائه بدون مهلة لأنه سريع الإجابة عليم بالضمائر الخالصة [3] ، فقد تجلى دور كل من (لقد) و(لئن) ، (اللام المزحلقة) ، (من) على إصرار امرأة العزيز على مبتغاها وتأكيدها على استمراريتها في الحصول عليه وكذا (فاء التعقيب) التي كانت بمثابة انفراج هذا الصراع .

1) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، ص 198 .

2) عزوز سطوف ، بلاغة مقام القص القرآني –سورة يوسف أنموذجا – ، نقلا عن محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 12 ص 267 .

3) ينظر : محمد الطاهرين عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 12 ، ص 267 .

– الصراع بين يعقوب – عليه السلام – وأبنائه : استخدم أبنائه الاستعطاف والمراوغة لإبعاد يوسف والتخلص منه ليخلو لهم وجه أبيهم ويظفروا بحبه ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 14] فصيغة النداء (يا أبانا) وردت من إخوة يوسف لأبيهم لما أحكموا العزم على جريمتهم وأظهروا له أنهم في غاية المحبة ليوسف والشفقة عليه ليستنزلوه عن رأيه في تخوفه منهم ﴿وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16 (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17) وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 16 – 17 – 18] اهتدى يعقوب – عليه السلام – بفراسته ونباهته إلى بدلان دعواهم لذلك أتى بحرف الإضراب (بل) ليطلعهم على استنتاجه وهو أن أنفسهم قد سولت لهم أمرا منكرا شنيعا [1] .

وبعد تحقيق مبتغاهم في إبعاد يوسف – عليه السلام – عن أبيه وطول الأمد جاء البشير إلى يعقوب عيه السلام يبشره بالفرج وقرب اللقاء فلما أحس أن أبنائه ينكرون عليه وجدانه لرائحة يوسف – عليه السلام – بادر إلى تأكيد مقالته بمؤكدين هما(إنّ) و (اللام) (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) و ما دل على أن الأبناء كانت حالهم الإنكار قول يعقوب(لولا أن تفندون)أي إنكم ستنكرون عليا ما قلت ، وذلك ما كان من أبنائه حين ردوا عليه قائلين ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾[سورة يوسف ، الآية 95] فهم أكدوا حكم الإنكار بثلاث مؤكدات هي : القسم (تالله) و (إنّ) و (اللام) ليقنعوا أباهم بحكمهم هذا [2] ، ولولا وجودها لما قام هذا

1) ينظر : المرجع السابق ، ص 77 .

2) ينظر : عزوز سطوف ، بلاغة مقام القص القرآني –سورة يوسف أنموذجا – ، ص 113 .

الصراع على النحو الذي قام عليه في هذه القصة ومن هنا يتجلى دورها المحوري الأساس في وجوده وتكامله مع باقي أسس البناء القصة القرآنية .

05/ البيئة (الزمان والمكان) :

لم تكن القصة مقتصرة على الأحداث والشخصيات إنّما تعدت لتشمل حدود الزمان والمكان ولتكشف لنا جوانبها الحضارية والفكرية والعلاقات الاجتماعية والعاطفية ، وللزمان والمكان دلالات توحي بعادات البيئة التي جرت فيها الأحداث .

أ– الزمان :

والزمن له «مكانه الملحوظ دائما في سير الأحداث القصصية وفي تنميتها وإنضاجها وخروج الحدث القصصي عن حدود الزمن ومن قيود يجعله في عزلة عن الحياة وفي انقطاع عن الروافد التي يتغذى منها» [1] .

ويكاد الزمان أن يكون مهمشا في قصة يوسف – عليه السلام – ؛ لأنّ غاية القصص القرآني هي الاهتمام بالجانب التربوي الديني ، ولا يعني هذا أنه لا وجود للزمان مطلقا [2] وسأحاول إظهار ذلك من خلال ما دلّ عليه من حروف المعاني وبذلك إثبات فنّية الزمان من خلال هذه الحروف والأدوات :

– فنلاحظ أن الحرف **قد** في قوله : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [سورة يوسف الآية 07] ، والتي تفيد التحقيق دخلت على الجملة الفعلية «وهي حرف مختص بالفعل وتدخل على الماضي بشرط أن يكون متصرفا ، وهو يقرب الماضي من الحال ، فهو حرف تقريب

1) عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني ، ص 85 .

2) ينظر : خالد أحمد أبو جندي ، الجانب الفني في القصة القرآنية ، ص 211 .

مع الماضي» [1] وهو ما نستشف دلالته من هذه الآية الكريمة ، ففيها علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة لكل من سأل عن قصتهم وعرفها أو الطالبين للآيات –في الماضي– المعتبرين بها [2] ، فقد دلّت على الزمن الذي حصلت فيه القصة وعن مناسبتها لأزمان حاصرة للاستفادة والاعتبار منها .

– وكذلك حرف **لما التعليقية** وهي حرف وجوب لوجوب وبعضهم يقول حرف وجود لوجود وأحد وجوهها أنها ظرف بمعنى حين وهو مذهب أبي علي الفارسي [3] وهو ما ترجمت عنه من زمن في كل من الآيات الآتية :

قال عزّ وجلّ : ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [سورة يوسف الآية 28] (فلما) الفاء استئنافية ولما الحينية ظرف زمان متعلقان بقال [4] .

وقال أيضا : ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[سورة يوسف ، الآية 31] (فلما) الفاء استأنافية و(لما) حينية ظرف زمان [5] ، كلاهما كشف عن عنصر الزمان الذي كان سببا ودافعا في تحريك الأحداث وانعراجها لسبل مغايرة .

1) الحسن بن قاسم المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص 253 – 254 .

2) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 184 .

3) ينظر : الحسن بن قاسم المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص 593 .

4) ينظر : أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 85 .

5) ينظر : المرجع السابق ، ص 85 .

وقوله أيضا : ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾[سورة يوسف الآية 94] «(ولما) الواو استئنافية ولما الحينية ظرف زمان » [1] ، سلطت الضوء عن حيثيات الحدث من خلال تحديد الزمن ومواصفاته لأغراض تخدمه بصفة خاصة وتخدم القصة بصفة عامة

- ونجد الحرف **حتى** في قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [سورة يوسف ، الآية 35] «(حتى) حرف غاية وجر (حين) مجرور بحتى ومتعلقان بيسجننه » [2]

(حتى حين) جار ومجرور بمعنى (إلى) وهذا ما ذكره صاحب الكشاف فقال : (حتى حين) إلى زمان [3] فالفعل (ليسجننه) بصيغته التوكيدية يوحي بالزج ليوسف في غير رحمة وفي إهمال لشأنه ، ويزيد ذلك وضوحا كلمة (حتى حين) فلو كان السجن قائما على منطق يحترم أو لعقوبة محددة ومعينة لقالوا السجن مثلا ثلاثة سنوات أو أربعة ، أما كلمة (حين) فهي مبهمة لمدة غير محدودة الزمن طال أو قصر [4] ، وقد كشفت (حتى) في هذا الموضع عن أجل من الزمن غير المحدد للتعبير عن مدى الظلم والأذى الذي تعرض له نبّي الله يوسف – عليه السلام –

- ونجد **لن** في قوله تعالى﴿ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾[سورة يوسف الآية 80] جاءت لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل ، فهي أبلغ في النفي ، لأن (لا) تنفي (يفعل) (لن) تنفي سيفعل و (سوف يفعل) [5] «أي لن أفارق أرض

1) نفسه ، ص 105 .

2) أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، ص 87 .

3) ينظر : الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج 02 ، ص 319 .

4) ينظر : عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، ص 209 .

5) ينظر : عباس علي الأوسي ، الإحالة في القرآن الكريم ، ص 312 .

مصر حتى يسمح لي أبي بالخروج منها» [1] ، وبهذا التأكيد الذي أضفته (لن) على الحدث وضحت نيّة وإصرار الأخ الأكبر على موقفه سواء أكان في الزمن الحاضر أو المستقبل ، وهو ما يدعّم الزمان لغويا وفنيّا في قيام القصة القرآنية .

- ويبدو أن الحرف **أن** في قوله تعالى جاءت للتراخي : ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف الآية 96] ، فقد ذكر "ابن الأثير" بأن (أن) أصلية بمعنى التراخي والإبطاء فقال : «إذا نظر في قصة يوسف- عليه السلام - مع إخوته منذ ألقوه في الجب إلى أن جاء البشير إلى أبيه وُجد أنه كان ثمّ إبطاء بعيد ، فقد اختلف المفسرون في طول تلك المدّة ولو لم يكن ثمَّ مدّة بعيدة وأمد متطاول لما جيء بـ (أن) بعد (لما) وقبل الفعل بل كانت تكون الآية : فلما جاء البشير ألقاه على وجهه» [2] ، وذكر "الزركشي" مثل هذا المعنى ولكن على زيادة (أن) ؛ لأنه ما كان مجيء البشير إلى يعقوب - عليه السلام - بعد طول الحزن وتباعد المدة نسب ذلك زيادة (أن) لما في مقتضى ووصفها من التراخي [3] فـ (أن) أفادت معنى التراخي والإبطاء إذ أنّ ثمة أمدا متطاولا اختلف فيه المفسرين بين إلقاء يوسف في الجب وبين مجيء البشير فأتت لتعبر عنه ولتعبر عن لواعج الأب يعقوب وقد استبطء غياب ولده .

ب- المكان :

1) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 63 .

2) هيفاء عثمان عباس ، زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، ص 618 -619 . نقلا عن ابن الأثير ، المثل السائر ، ج 03 ، ص 18 -19.

3) ينظر : المرجع نفسه ، ص 619 نقلا عن الزركشي ، البرهان ، ج 04 ، ص 227 .

يعتبر المكان ذا أهمية كبيرة في كل القصص بما فيها القصص القرآني فهو فضاء الحدث وإطاره ، كما تتحرك الشخصية من خلاله ، ولم تخص «الأدبية القرآنية المكان من حيث هو حيز مادي أو فضاء ماثل أو متخيل بتنويهات إلا لكونه أحد الموضوعات الأساسية التي ارتكز حولها الخطاب القرآني ، سواء وهو يبني مجاليته الحسية بوصف مظاهر العظمة المادية المتجلية فيه أو وهو يستدل بآثار ذلك الكون الحسي على ألوهية الخالق ربّ العالمين» [1] ذلك أنّ القصة القرآنية بحداثياتها وسياقتها توجه المكان وتحدد إطاره ، وتتحكم في توزيعه بحيث يسهم المكان في إيضاح المغزى وفي التمثل الظاهر للعبرة .

وقد كان لحروف المعاني دور هام في التعبير عن هذا الأساس من أسس بناء القصة القرآنية فنلاحظ أنها ترجمة عنه حقيقة أو مجازا مثال ذلك :

- حرف **في** وهو حرف جر ومعناه قيل :الظرف وإن انتشرت معانيه فهي راجعة إليه [2] (مكانية أو زمانية إما حقيقية أو مجازية) ذلك بأن يشتمل المجرور على متعلقة اشتمالا مكانيا أو زمانيا كقوله تعالى﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 07] وهنا مجازا [3] .

- وكذلك **واو العطف** في قوله تعالى﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة يوسف الآية 12] «أرسلْه فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به و(معنا) ظرف مكان متعلق بأرسلْه و(نا) مضاف إليه ، و(غدا) ظرف متعلق بأرسله أيضا و(يرتع) مجزوم لأنه جواب الأمر و (يلعب)

1) سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني ، ص 147 .

2) ينظر : إبراهيم بن الخطيب الموزعي ، مصابيح المغاني في حروف المعاني ، ص 314 .

3) ينظر : محمود سعد ، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه ، ص 146 .

عطف عليه وجملة (إنا له لحافظون) حالية [1] فالعطف بين يرتع ويلعب تدل على المكان أو البيئة الريفية ذلك أنّ لفظة يرتع تدل على البداوة ، فالرعي مرتبط فقط بالبدو .

- ونجد الحرف **في** أيضا في قوله تعالى معبرا عن الظرفية ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[سورة يوسف ، الآية 15] ، (في غيابة الجب) متعلقان بألقوه ، فرغم ظلمة الجب إلا أنه كان لسيدنا يوسف - عليه السلام - كحضن الأم الحنون .

- ويترجم حرف الجر **على** عن المكان في قوله تعالى ﴿وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 18] «الواو عاطفة و(جاءوا) فعل وفاعل و(على قميصه) محله النصب على الظرفية كأنه قيل: وجاءوا فوق قميصه بدم» [2] ووصف الدم بأنه كذب مبالغة كما هو معروف في وصف اسم العين باسم المعني [3] .

- وكذلك حرف الجر **من** في قوله تعالى﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [سورة يوسف ، الآية 21] «(من مصر) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال و(مصر) مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف» [4] ومصر في هذه الآية الكريمة تدل على انتقال سيدنا يوسف من مكان ولادته وقريته أي من البادية فقد كانوا إبل وغنم إلى المدينة

1) ينظر : محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، مج 04 ، ص 458 .

2) المرجع السابق ، ص 462 .

3) ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 189.

4) محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، مج 04 ، ص 82 .

والحضارة [سورة يوسف ، الآية 100] ، ببادية فلسطين ، وفي هذا الموضع تمّ تصريح ببيئة البداوة .

كما يتجلى في قوله تعالى ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية 23] حرف الجر (في) بمعنى الظرفية ، فالبيت من المفروض أنّه يحمل كل دلالات الدفء والحنان والاستقرار لكنه انقلب رأسا على عقب لتوتر العلاقات بين شخصياته فقد كيد فيه ليوسف واتهم وظلم .

بالإضافة إلى قوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[سورة يوسف ، الآية 30] إذ ربطت الشخصية (نسوة) بالمكان (المدينة) فقد يفيد تنكير (نسوة) التحقير أو التقليل من شأنهنّ وقيمتهن لتعاملهن بالغيبة والتشهير بامرأة العزيز ، فتنكير نسوة فيه إيحاء بذمّ صفتي الغيبة والتشهير بالناس والحث من خلال ذلك على ضرورة الستر ، وربط نسوة بالمدينة عن طريق حرف الجر (في) الدال على الظرفية المكانية إيحاء بنوعية الطبقية التي تنتمي إليها النسوة لما في كلمة المدينة من معنى التحضّر والرقي ، أو لأن النسوة يرغبن في ذيوع الخبر وذيوعه يكون في المكان (الوسط) الذي يعيش فيه ، وبذلك ربط بين ناشر الخبر (النسوة) وبين المكان (المدينة) الذي نشر فيه الخبر .

- قد جاءت **في** بمعنى التعليل [1] لقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾[سورة يوسف الآية 32] وهذا متصل بدلالتها على الوعاء أو الظرفية أو الموضع ، فما أخذتم موضع المس ويوسف موضع اللوم فهي دالة على الظرفية مجازا [2] .

1) ينظر : إبراهيم بن الخطيب الموزعي ، مصابيح المغاني في حروف المعاني ، ص 316 .

2) ينظر: حروف الجر علاقتها ودلالتها ، ص 15 .

وعليه فإنّ دور حروف المعاني من خلال قيمتها الوظيفية والدلالية عبرت عن المكان في قصة يوسف – عليه السلام – من البداوة إلى الحضارة ، ومن القصر إلى السجن وغيره كان له دلالة وأثر في صقل شخصية يوسف – عليه السلام – وإعداده للمهمة العظيمة التي اصطفاه الله من أجلها .

ولما كانت القصة القرآنية مدرسة للأخلاق جاءت قصة يوسف – عليه السلام– قمّة في التوجيه والهداية كما أعطتنا المثال الحي للجمال الحقيقي .

وتمثل الجمال في قصة يوسف – عليه السلام– بكل أسراره حين بلغ ذروته في انسجام الصدق بالجمال ، وائتلاف الغرض الديني بالغرض الفني ، ليُحقق الإعجاز غايته ويؤدي الفن رسالته انطلاقا من البناء اللغوي الماثل في حروف المعاني وجمال اللفظ والمعنى وحسن تركيبها في أحسن صورة من صور الإبداع الأدبي الفني التي برهنت على فنيتها واكتمال عناصرها لغويا فنيا ، إلى ما اشتملت عليه من عناصر القصة الأدبية والمشاهد لتصويرية بحيث تجعل القارئ يتصور ما حدث وكأنّه ماثل أمام ناظريه ، وبأسلوب فريد في ألفاظها وتعبيرها وأدائها القصصي الممتع .

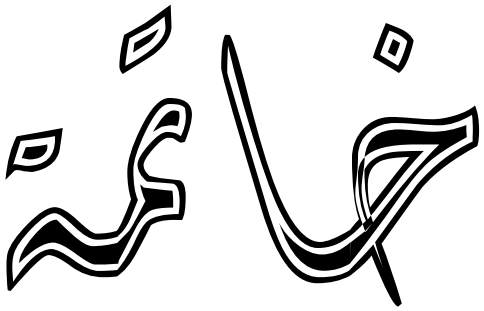

إلى هنا يكون هذا البحث قد استوفى — بعون الله — فصوله ومباحثه بعد أن جُلت من خلاله رياض القرآن الفيحاء في ربوع القصص القرآني الذي تجسّد فيه الجمال بكل آياته والصدق بكل واقعيته محاولة إثبات فنّية القصة القرآنية انطلاقا من حروف المعاني كأحد مقومات البناء اللغوي للقصة ، وفيما يلي إجمال لما استخلصته من نتائج في هذا البحث :

- ورد في القرآن الكريم معنيان لغويان من معاني القصة وهما تتبع الأثر والخبر .
- وقد عرضت مقومات البناء الفني للقصة القرآنية ولغتها وإمكاناتها الجمالية وهو ما من شأنه دحض أي شك أو شائبة قد تشوبها ، ذلك أنّها عرضت الأحداث عرضا واقعيا لغايات سامية تحمل سمو وقداسة الكتاب الذي ذكرت فيه ، وكان لعرض الأحداث ببعدها الزّماني والمكاني إعجاز آخر ، كما قدّمت الشخصية القرآنية ممثلة بأبعادها الإنسانية وما يعتريها من مشاعر ودواخل لتكون ماثلة للعيان مثولا حقيقيا ليصح استلهام العبرة منها .
- كما وقَفْت على البعد اللغوي الوظيفي لحروف المعاني في القصص القرآني عامة وقصة سيدنا يوسف — عليه السلام – خاصة الممزوج بالبعد الدلالي لها ، فتجلى بذلك جمال أسلوبها ورصانته وجمالها اللغوي ودلالاته ، وقد برهنت هذه الحروف إلى حدّ بعيد على إمكانية إثبات فنيّة القصة القرآنية انطلاقا من بنائها اللغوي .
- كانت حروف المعاني في القصص القرآني حجّة ثانية ودليلا أعمق على فنيّة القصة القرآنية عندما انسجمت وتطابقت دلالاتها مع معمار القصة المحكم فألقت ما ألقت من الأنوار والظلال وتدفق الحياة وبعث الأحداث ورسم الشخصيات ، وتفاعل الحوار وتصوير الصراع وتحديد الحيثيات الزّمانية والمكانية .
- وتجيء كلّ تلك الحروف وفق بناء قصصي فريد ومُعجز ، والتي استدللت بها عن فنيّة القصة القرآنية من خلال جميع مقومات بنائها ، وكان أكثر دورانها في الحدث والحوار

سواء أكان في القصة القرآنية بصفة عامة أو في قصة سيدنا يوسف – عليه السلام – خاصة .

- وأكثر الحروف خدمة لهذه المقومات في القصة القرآنية كانت حروف الجر : من – على – في – اللام ، قد ولقد ، أمّا في قصّة سيدنا يوسف – عليه السلام – فلاحظت بروز حروف الجر أيضا بالإضافة إلى (لا الناهية) ، وحروف العطف ، حرف النداء (يا) ، وقد ، إنّ ، وأدوات الاستفهام خاصة الهمزة .

وأحمد الله عزّ وجلّ على إتمام هذه الرسالة فإن كنت قد أصبت فما توفيقي إلاّ بالله وحده ، وإن كنت أخطأت فمن نفسي والشيطان ن وأستغفر الله من كلّ زلل ، وأرجوه السداد في القول والعمل ، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه .

والله أعلم وله الحمد من قبْلُ ومن بعْد .

قائمة

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

أولا : المصادر والمراجع

1)إبراهيم بن الخطيب الموزعي ، مصابيح المغاني في حروف المعاني ، تح : عايض بن العمري ، دار المنار ، ط 01 ، 1993 م .

2)إبراهيم قلاتي ، المعجم الشامل في الإعراب ، دار الهدى ، عين مليلة ،الجزائر ، (د ط) ، 2012 م .

3)أحمد بن عبد النور المالقي ، رصف المباني في شرح حروف المعاني ، تحرير : أحمد محمد الخراز ، دار القلم ، دمشق ، (د ط) ، (د ت) .

4)أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، ج05 ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د ط) ، 1979 م .

5)أحمد عبيد الدعاس وآخرون ، إعراب القرآن الكريم ، مج 02 ، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط 01 ، 2004 م .

6)أحمد موسى سالم ، قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح ، دار الجيل ، بيروت (د ت) .

7)أبو البركات الأنباري ، أسرار العربية ، تحرير محمد بهجة البطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، (د ط) ، (د ت) .

8)بكري شيخ أمين ، التعبير الفني في القرآن ، دار الشروق ، ط04 ، 1980م .

9)بهجت عبد الواحد ، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل ، ج 02 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 01 ، (د ت) .

10) التهامي نقرة ، سيكولوجية القصة في القرآن ، الشركة التونسية ، (د ط) ، 1979م .

11) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح : محمد التنجي ، دار الكتاب العربي (د ب ن) ، ط 02 1997 م .

12) جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 06 ، تح : محمود محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط 01 ، 2000م .

13) الحسن الرماني ، معاني الحروف ، تحرير وتركيب ك عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار الشروق ، جدة ، ط02 ، 1981 م .

14) الحسن بن قاسم المرادي ، الجني الداني في حروف المعاني ، تحرير فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 1992 م .

15) حمود سعيد ، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه ، (د ط) ، (د ت).

16) حيان الأندلسي ، البحر المحيط في التفسير ، ج 03 ، دار الفكر ، بيروت ، (د ط) ، 1426 هـ .

17) خالد أحمد أبو جندي ، الجانب الفني في القصة القرآنية – منهجها وأسس بناءها- ، دار الشهاب للطباعة والنشر ، باتنة ، الجزائر.

18) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، مج 03 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، مادة (ح ر ف) ، (د ط) ، (د ت) .

19) الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو للزجاجي ، تحرير : مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ، (د ط) ، (د ت) .

20) الزركشي ، الأعلام ، ج 01 ، ج07 ، دار العلم للملايين ، ط 15 ، 2002 م .

21) الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج 01 ، (د ب ن) ، (د ط) ، (د ت) .

22) الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج 02 ، دار الفكر ، بيروت (د ط) ، (د ت) .

23) سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط 01 ، 2006 م .

24) سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1998 م.

25) سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 16 ، 2002 م .

26) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج 01 ، دار الشروق بيروت ، (د ط) ، (د ت).

27) شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، ج 02 ، ج03 ، تح : السيد محمد السيد ، دار الحديث القاهرة ط 01 ، 1426 هـ .

28) طول محمد ، البنية السردية في القصص القرآني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (د ط) ، 1991 م .

29) عادل أكتوف ، عجائب فريدة من سورة يوسف – عليه السلام – ، دار طليطلة ، الجزائر ، ط 01 ، 2012 م .

30) عباس حسن ، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، ج 01 دار المعارف ، مصر ، ط 3 ، (د ت).

31) عباس علي الأوسي ، الإحالة في القرآن الكريم ، دار ضفاف ، العراق ، ط 01 ، 2012 م.

32) عبد الجواد محمد المحمص ، أدب القصة في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز ، الدار المصرية ، الإسكندرية ، 2000 م .

33) عبد الرحمان السعدي ، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، ج 01 ، تح : عبد الرحمان بن معلا اللويحق ، دار السلام للنشر والتوزيع ، ط 02 ، 2002 م .

34) عبد الرحمان النحلاوي ، التربية بالقصة ، دار الفكر ، دمشق ، ط 01 ، 2006 م .

35) عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ط 02 ، 1975 م .

36) عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، دار المعرفة للنشر والتوزيع بيروت ، لبنان ، ط02 ، 1975 م .

37) عبد الله شحاتة ، علوم القرآن ، دار غريب للطباعة والنشر ، (د ط) ، (د ت) .

38) عدنان زرزور ، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه ، دار الإعلام ، بيروت ، ط 01 ، 2005 م .

39) عمر باحاذق ، الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف ، دار مأمون للنشر ، (د ط) ، (دت) .

40) فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 01 ، 2000 م

41) فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ،ج 04 ، ج12، دار الفكر ، بيروت ، ط 01 ، 1425 هـ .

42) الفرج ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، ج 01 ، تح : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط02 ، 1422هـ .

43) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مج 03 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، (د ط) ، (د ت) .

44) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 01 ، ج02 ، ج03 ، دار الفكر العربي ، (د ط) ، (د ت) .

45) مأمون فريز جرار ، خصائص القصة الإسلامية ، دار المنار ، جدة ، السعودية ، (د ط) ، (د ت) .

46) محمد الطاهر التليلي ، مسائل قرآنية – منظومات – ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر (د ط) ، 1986 م .

47) محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 03 ، دار سحنون للنشر ، تونس ، (د ط) ، (د ت) .

48) محمد الطاهرين عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 12 ، الدر التونسية للنشر ، تونس ، (د ط) ، 1984 م .

49) محمد الغزالي ، عقيدة المسلم ، دار القلم ، دمشق ، ط 10 ، 1999 م .

50) محمد بن صالح العثيمين ، الأصول في التفسير ، دار ابن الجوزي ، للنشر والتوزيع ، (د ط) ، 2008 م .

51) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ج 01 ، تح : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر بيروت ، (د ط) ، 1992 م .

52) محمد حسن الشريف ، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 01 ، 1996 م .

53) محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ج 01 ، المطبعة الفنية ، ط 04 ، 1989 م .

54) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ج 02 ، شركة الشهاب ، الجزائر ، ط 05 ، 1990 م .

55) محمود أحمد الصغير ، الأدوات النحوية في كتب التفاسير ، دار الفكر ، دمشق ، ط 01 2001 م .

56) محمود السيد حسن ، روائع الإعجاز في القصص القرآني ، المكتب الجامع الحديث ، الإسكندرية ، ط 02 ، 2003 م .

57) محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ط01 ، 1981 م .

58) محمود المصري ، يوسف الأحلام ، قصة يوسف – عليه السلام – ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط 01 ، 2008 م .

59) محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، مج 04 ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط 03 ، 1992 م .

60) مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية، مج 03 ، تح وتص ومر : إسماعيل العقباوي القاهرة ، ط01 ، (د ت).

61) منظور الإفريقي ، لسان العرب ، ج 05 ، تح : عبد الله علي الكبير وآخرين ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة (د ط) ، (د ت) .

62) هشام الأنصاري ، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج 1 ، تح : عبد اللطيف محمد الخطيب ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ، ط 01 ، 2000م .

ثانيا : الرسائل الجامعية

63) إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى ، الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم ، إشراف : عودة عبد الله ، رسالة ماجستير في أصول الدين ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، نابلس فلسطين ، 2009 م .

64) عبدالله حسن عبدالله ، حروف المعاني بين الأداء اللغوي والوظيفة النحوية ، رسالة دكتوراه في اللغة العربية ، إشراف : يوسف دادو ، جامعة جنوب إفريقيا ، 2012 م.

65) عزوز سطوف ، بلاغة مقام القص القرآني —سورة يوسف أنموذجا – ، رسالة ماجستير جامعة منتوري قسنطينة ، إشراف: عمار ويس ، 2009 – 2010 م .

66) علي الجهني ، أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير – دراسة نظرية وتطبيقية على سورتي آل عمران والنساء –، رسالة ماجستير جامعة أم القرى ، السعودية ، إشراف :عبد الله سعاف اللحياني ، 2007 م .

67) محمد عبد الله عبده دبور ، أسس بناء القصة في القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه في الأدب والنقد ، إشراف : فتحي محمد أبو عيسى ، جامعة الأزهر ، 1996 م .

68) منار عمر درويش الحلو ، التعامل في ضوء القصص القرآني دراسة موضوعية لنيل درجة الماجستير في التفسير والعلوم ، إشراف : محمود هاشم محمود عنبر ، 2011 م ، الجامعة الإسلامية غزة ، كلية أصول الدين ، قسم التفسير وعلوم القرآن .

69) هيفاء عثمان عباس ، زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم رسالة دكتوراه في البلاغة ، إشراف : محمد محمد أبو موسى ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا العربية ، فرع البلاغة ، 1996 م .

ثالثا : المقالات الأدبية والبحوث المنشورة

70) محمد خان ، مقال الأدوات النحوية ، بنيتها ووظيفتها ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة العدد الرابع ، جانفي 2009 م .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات :

العـنصـر	الصفحة
مـقدمة.....	أ
تمهيد : القصص القرآني في دراسات العرب السابقين.....	06
الفصل الأول: مقومات البناء الفنّي للقصّة القرآنيّة	15
المبحث الأول : فنيّة القصّة القرآنية	15
المبحث الثاني : أُسس البناء الفنّي للقصّة القرآنيّة.....	26
المبحث الثالث : لغة القصّة القرآنية وإمكاناتها الجمالية	37
الفصل الثاني : حروف المعاني وتقنيات القص الفنّي	51
المبحث الأول : القيمة الوظيفيّة للحروف في العمل الفنّي القصصي.....	51
المبحث الثاني: القيمة الجماليّة للحروف في العمل الفنّي القصصي	60
الفصل الثالث: القيمة الوظيفيّة الفنيّة لحروف المعاني من خلال تقنيات القص القرآني في سورة يوسف	102
أولا : بين يدي السورة.....	102
ثانيا : فنيّة القصّة من خلال حروف المعاني	107
خـاتمة.....	153
قائمة المصادروالمراجع.....	156

فهرس المحتويات.....	165